

34



الحضيض



تأليف : مكسيم جوركى
ترجمة : فــؤاد دوارة
تقــديم : أحمد عبد الرازق أبو العلا



الهيئـــة العامة
لقصور الثقافة

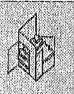
آفاق عالمية
إبريل ٢٠٠٤



الحضيض

« مسرحية من اربعة فصول »

تقديم : أحمد عبد الرازق أبو العلا
ترجمة : فؤاد محمود دواره
راجع الترجمة : د . محمود السعران



الهيئة العامة لقصور الثقافة

آفاق عالمية

الحضيض

• مسرحية : مكسيم جوركى
• ترجمة : فؤاد محمود دواره
• تصميم الغلاف : محمد بغدادى
• لوحة الغلاف من أعمال كونستانت بيرميكى (١٨٨٦ - ١٩٥٢)

• المراجعة اللغوية : ربيع عبد الرازق

• الطبعة الأولى : إبريل ٢٠٠٤
رقم الإيداع : ٧٤٢٥ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى :
I.S.B.N: 977 - 305 - 709 - 7

• الطباعة والتنفيذ :

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية قطعة ١٣٩
شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر
ت : ٨٣٣٨٢٤٠ - ٨٣٣٨٢٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٤
e-mail: pic@6oct.ie-eg.com

آفاق عالمية : سلسلة شهرية تعنى بنشر ترجمات مختارة

المراسلات : باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :
١٦ أ ش أمين سامي – القصر العيني – رقم بريدي : ١١٥٦١

الحضيض

والغوص فى الأعماق السفلى لمجتمع روسيا قبل الثورة

أحمد عبد الرازق أبو العلا

فى السطور الأخيرة التى أنهى بها (مكسيم جوركى) روايته (طفولتى) ، وبعد أيام قليلة من تشييع أمه إلى مثواها الأخير ، قال له جده :

حسنًا يا ألسكى ! إنى بالضبط لا أستطيع أن أسميك ميدالية معلقة حول عنقى !! ليس لك مكان بعد اليوم هاهنا ، فقد آن لك أن تخرج إلى ما بين الناس لكسب القوت !

يقول مكسيم : وهكذا خرجت إلى ما بين الناس لكسب القوت !

* اسمه الحقيقى هو (ألكسى مكسيموفيتش بيشكوف) ، واسمه المستعار - الأول - مكسيم هو اسم والده ، واسمه المستعار الثانى جوركى بمعنى المر ، وكان يقول لقرائه عن نفسه - بالاسم المستعار - أنا كاتب مر ، وستذوقون مرارة النبيذ الذى خمرته ، وستسمعون مرارة الكلمة التى أقول ؟!

إلا أن النقاد الذين تابعوا أعماله ، وكتبوا عنها قالوا له :

« كلا ! لست كاتبا مرًّا ، إنك عسلى المذاق ، ففيك حلاوة فرحة الحياة الحقيقية ، الفرحة الواعدة الوضاءة ، إنك تغنى مع الربيع الذى نعيشه الآن ، لقد بدأت أفضل الأزمان فى التسعينيات ، بدأت كثبان الثلوج تتقلص ، وبدأ خرير بعض الجداول ، وغردت طيور جديدة ، وصوتك من بينها ، إنه يبشر بالجديد ، وينطوى ذلك على فرحة الربيع الطرية »[1] .

ولعل العبارة التى صفقها الجد فى وجه (ألكسى) المعروف بمكسيم چوركى : « قد آن لك أن تخرج إلى ما بين الناس ؛ لكسب القوت » ، لعلها هى التى غيرت حياته بالفعل ؛ لأنه حين خرج ليعيش بين الناس ، تعرض للإهانة والمهانة ، والتشرد ، ولم يجد لنفسه مكانا آمنًا فى مجتمع روسيا القيصرية ، ذلك المجتمع الذى لم ينتصر للفقراء ، مثلما انتصر للأغنياء وعلية القوم ، وكان فلاحو روسيا قبل ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ ، يعيشون كما كانوا يعيشون فى القرن السابع عشر كما صرح - وقتها - بذلك چوركى نفسه . حين عاش مكسيم بين الناس ، رأى الفلاحين الأرقاء ، وعلم أن سيبريا امتلأت بالمنفيين الثوريين الذين واجهوا ظلم وتعسف القيصر الذى حكم روسيا اعتمادا على نظرية (الحقوق

(١) أناتول لونا تشارسكى - من مقدمة كتاب (مكسيم چوركى) طفولتى - ترجمة : سهيل أيوب - دار التقدم - موسكو - ١٩٨١ - ص ١٢ .

الإلهية) ، يعاونه – فى ذلك – الجيش الذى يسيطر عليه النبلاء ، والمجمع المقدس ، وجهاز الموظفين البيروقراطى .

وحين خرج إلى ما بين الناس ، انضم إلى عصابة من الصبيان أولاد المتسولين والمشردين كانوا يسرقون ألواحًا من الخشب من مخزن الأخشاب الذى يحتفظ بها لحين بناء المعرض التجارى الموسمى الذى يقام ربيع كل عام ، يقومون ببيعها ليغطى عائدها مصروفاتهم طوال العام !!

أى حياة تلك التى عاشها (مكسيم) لكى تجعله كاتبًا عظيمًا ؟!

الذى ساعده – فى اعتقادى – أولاً : قدرته على الصمود والتحدى والمواجهة ، وثانيًا : رغبته فى أن يكون عضوًا فاعلاً ومؤثرًا فى مجتمع لا يريد له حق الوجود وحق الحياة .

وثالثًا : أنه أعطى لنفسه فرصة التأمل والاندهاش ، والسؤال ، وأراد أن يحيل تأملاته ودهشته وتساؤلاته إلى موقف ورؤية ، تجاه الحياة التى يعيشها ويراها ، وتجاه الحياة التى يريدها أن تكون !! ، فلم يتنصل من هؤلاء الذين عاش معهم حياة التشرد ، وذاق بينهم مرارة الألم ، وواجه بهم عناد الحلم المستحيل ! . .

حوّل كل هذه الأحاسيس – وغيرها – إلى كتابات تعد وثيقة تاريخية مهمة تدين وتُعرى مجتمعًا وواقعًا يعكس أوضاعًا اجتماعية واقتصادية وسياسية ، لها خصوصيتها ، وتُعد بمثابة مفجر

موضوعى وحقيقى للإبداع الأدبى والفنى الصادق ، استحضر هؤلاء الذين عاشوا بين الناس ، لكنهم لم يجدوا لأنفسهم مجالاً صالحا لإظهار إنسانيتهم ، وإبراز قيمهم ، حيث تماهت إنسانيتهم وانمحت ؛ لأن المجتمع لم يساعدهم فى أن يكونوا بشرًا حقيقيين ، وبالتالى اختلت منظومة قيمهم، ونستطيع أن نقول : انعدمت ، أو تلاشت ، ولم يعد لها وجود ، أصبحوا فى (الأعماق السفلى) لهذا المجتمع ، أصبحوا حضيضًا ، لا قيمة لهم . .

اقرأ معى هذا الحوار المقتبس من هذه المسرحية :

يتحدث كستليوف - صاحب المنزل - إلى لوقا القسيس الحكيم قائلاً وهو يهزأ منه : - أى نوع من النساك أنت ؟! إنك لا تملك جواز سفر ، بينما الرجل الفاضل يجب أن يكون معه جواز ، فكل الأخيار معهم جواز سفر ، نعم . .

لوقا : هناك ناس وهناك مجرد رجال . .

كستليوف : لا تحاول أن تكون ظريفًا ، لا تكلمنى بالألغاز ، فأنا لست أغبى منك ، ماذا تقصد بالتفريق بين الناس والرجال ؟

لوقا : ليس هذا لغزا ، ما أعنيه أن هناك نوعين من التربة ، نوعًا غير صالح للزراعة بالمرة ، وآخر خصبًا ، كل ما تزرعه فيه ينمو ، هذا هو كل الفرق .

كستليوف : حسنا وما معنى هذا ؟

لوقا : لنأخذك أنت على سبيل المثال ، إذا قال لك الله – عز وجل –: « كن رجلاً ياكستليوف » فلن يحدث كلامه أى أثر فيك ، وستظل كما أنت إلى أن تموت .

كلمات (لوقا) الواعظ تعكس وجهة نظر (چوركى) فى الفرق بين الرجال ومجرد الرجال ، أى الفرق بين ناس وناس ، فعلى الرغم من البؤس والتشرد ، يمكن المحافظة على سمات الرجولة التى تسمو بالإنسان ، فالإنسان عند چوركى ، لابد أن يكون موضع احترام ، لا موضع شفقة ، وهذا الإيمان هو الذى دفعه إلى الانتصار على فقره ، وبؤسه ، وتشرده المبكر ؛ لأنه اكتشف مواطن الرجولة فى داخله ، ولم يرض أن يكون مجرد واحد من الناس .

وساتين – فى المسرحية – يعكس إيمان چوركى بالإنسان ، مؤكدًا – من خلاله – على تلك القيمة ، حين يقول مخاطبًا البارون : « إن الإنسان حر فيما يفعل ، وهو نفسه الذى يدفع الثمن ، ثمن الإيمان وثمن الكفر ، ثمن الحب وثمن الذكاء ، وهذا هو سر حريته .. الإنسان ، هذه هى الحقيقة ، ما هو الإنسان ؟ إنه ليس أنت ولا أنا ولا هم ، لا ، إنه أنت وأنا وهم ، والعجوز ونابليون ، ومحمد .. الكل فى واحد (يخطط بيديه فى الهواء شكل إنسان) أفاهم أنت ؟ إنه شىء هائل ، فيه

البدايات وكل النهايات ، كل شيء موجود فى الإنسان ، وكل شيء موجود من أجل الإنسان ، لا موجود إلا الإنسان ، وكل ماعداه فمن صنع يده وعقله ، الإنسان !! ما أروعه !! فى اسمه رنة زهو عجيبة ! الإنسان . . يجب أن نحترم الإنسان لا أن نشفق عليه، أو نحط من قدره ، أن نحترمه ، هذا هو واجبنا ، فلنشرب نخب الإنسان يا بارون ! (ينهض) ما أجمل أن يشعر الواحد منا بآلامه إنسانا يا بارون » .

فى الحضيض نتعرف على نماذج متباينة من البشر ، يمثلون شرائح مختلفة فى مجتمع روسيا القيصرية ، كتبها جوركى فى عام ١٩٠٢ ، أى قبل الثورة الروسية بخمسة عشر عاما ، وتعد الثانية - من حيث الترتيب - فى أعماله المسرحية ، وأصدر قبلها : البرجوازيون ١٩٠١ [١] وفيما بعد صدرت له : المصطافون ١٩٠٤- أبناء الشمس ١٩٠٥ - الأعداء ١٩٠٦ - [٢] والعجوز . وأصدر بعد الثورة مسرحيتين هما : أيجور بوالتشوف والآخرون

---

(١) البرجوازيون صدرت الترجمة العربية لها فى عام١٩٧١ - ترجمة : أبو بكر يوسف حسين ، وصدرت ضمن سلسلة مسرحيات عالمية التى كانت تصدرها الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشـر - العدد رقم ٧٣ .

(٢) ترجمها فؤاد دوارة تحت عنوان (الهمج) فى نفس العام الذى ترجم فيه مسرحية الحضيض عام ١٩٥٣ .

١٩٣٢ - و دستوجايف فى نفس العام ، ومات بعدهما بأربع سنوات [(١)] .

هؤلاء المنبوذون والهاربون من العدالة ، يعبرون عن ذوات بعضها مريض وبعضها الآخر صحى ، فالبارون الذى كان يعمل موظفا فى الدولة إلا أنه كان يحلم بالعيش كما يعيش البارونات ، ودفعه هذا الحلم إلى اختلاس أموال الحكومة ، فدخل السجن ، وحينما خرج لم يجد مكانا يأوى إليه إلا هذا القبو ، وهو ما يزال يعيش الحلم القديم ، أن يكون بارونًا !! والممثل هو الآخر يعيش حلمًا لا يتحقق - رغبته الدائمة فى التمثيل - ولا يملك شيئًا يتيح له فرصة الانطلاق فى هذا المجال الذى يحبه ، فيعيش حالة التمثيل مع نفسه داخل القبو ، وحين لايجد أحدًا يعيره اهتماما ، ويدرك أن الحياة لم يعد فيها ما يستحق أن يعيش من أجله ، يقدم على الانتحار فى نهاية المسرحية .

وساتين الذى قتل رجلاً اعتدى على شقيقته ودخل السجن وخرج منه ، ولم يجد مكانا آخرغيرهذا القبو الذى تدور فيه الأحداث ، نراه يواجه العالم المحيط به بالسخرية اللاذعة والمرارة التى تصل إلى حلوقنا معه .

---

(١) ولد چوركى فى عام ١٨٦٨ وتوفى فى عام ١٩٣٦ ، أى أنه عاش ثمانية وستين عامًا .

وفاسيلى الشاب اللص ، والمرأة التى تعانى آلام المخاض ، وتموت ولا أحد يهتم بها ، وصاحب المنزل الذى قتله عشيق زوجته . . واليوشكا الإسكافى الذى لا يستطيع مواجهة الحياة بأى شكل ، وكذلك (كلستشن) مولف المفاتيح الذى يسخر من كل شىء . . كل هؤلاء قدمهم چوركى فى مسرحيته ، ولم يكن متعاطفًا معهم تعاطفًا تامًا ، ولم يكن ضدهم أيضًا ، بل قدمهم اعتمادًا على رؤية مؤداها : أن هؤلاء يعبرون عن حالتين إنسانيتين: بعضهم - برغم الحاجة والعوز - يتحولون إلى نمور بشرية ، إنهم ميالون إلى الإجرام ، لا يؤمنون بالأخلاق ، ولا يمكن لهم التماهى فى المجتمع الحر لكى يصبحوا إنسانيين برغم فقرهم ، ويصبحوا اجتماعيين برغم عوزهم ، بمعنى آخر : لن تستطيع السيطرة عليهم أبدًا .

والبعض الآخر رائعون إنسانيًا ، يملكون القدرة على الحلم ، ويسعون إلى تحقيقه لكن تشردهم وسكرهم نشأ بسبب عدم القدرة على تحقيق الحلم ، وهو ما دفع الممثل إلى الانتحار - كما أشرنا من قبل - الجمع بين الحالتين المتناقضتين ، أو بمعنى آخر الجمع بين تلك المشاعر المتناقضة والمتباينة فى بيئة واحدة هو ما أدى إلى طغيان الصدق الفنى حين قدم چوركى شخوص مسرحيته ، إنه عمل مسرحى يحتفى بالشخصية الإنسانية ، ربما أكثر من احتفائه

بالحدث المسرحى ، وعلى الرغم من أن بعض النقاد قد أخذوا على أعمال چوركى المسرحية ، أنها تتبع الأسس التقليدية للبناء المسرحى ، من عرض وعقدة وحل ، كما فعل من قبله أعمدة المسرح الحديث : أبسن - برنارد شو - بيرندولو - بريخت ، إلا أننا نرى أن احتفاءه بالشخصية ، لم يُضعف بناء النص ، صحيح أنه جعل الشخوص يتحدثون كما أرادوا تمامًا وبتلقائية وعفوية تقترب من الطبيعية كأسلوب [١] ، إلا أن تلك التلقائية نجحت تمامًا فى إبراز أبعاد الشخصية الدرامية ، ويمكن الاستفادة من ذلك حين نود التعرف على الطريقة التى يتم بها تقديم الشخصية

---

(١) تنتمى مسرحية الحضيض لمكسيم چوركى إلى المنهج الطبيعى فى الكتابة المسرحية ، ذلك المنهج الذى آمن وقدم به أعماله المسرحية الكاتب (أميل زولا) ١٨٤٠ - ١٩٠٢ ، وكان يرى أن الفن يجب أن يكون علميًا فى موضوعه ومنهجه ، ويأتى الموضوع - فى رأيه - من مصدرين : أن يكون من نتائج الكشوف العلمية ، أو أن يكون تسجيلًا صادقاً لظروف الواقع المعاش ؛ ولهذا فإن على الكاتب الدرامى - الطبيعى - أن يختار شريحة من الحياة اختيارًا موضوعيًا ، وأن يجعل شخصيتها تتفاعل مع الأحداث طبقا للقوانين الخاصة بالوراثة والظروف الاجتماعية ، تلك القوانين التى تحكم الإنسان وتكسبه كل سلوكياته وأفعاله ، كما ينبغى أن تكون نتيجة تفاعلات الشخصيات مع أحداثها مطابقة للكشوف العلمية .

انظر فى هذا الشأن وبالتفصيل معجم المصطلحات الدرامية - د. إبراهيم حمادة - صفحة ٣٠٠ وما بعدها .

الدرامية بشكل خاص ، أى أنها صالحة كنموذج فنى نقيس عليه ، والتحلل من القيود الكلاسيكية للمسرح ، ليس عيبًا يؤخذ على چوركى ، أو غيره من الكتاب ، لكن العيب ، ألا يكون الكاتب قادرًا على معالجة موضوعه أو فكرته بشكل درامى ، إنسانى حقيقى ، فأعمال تشيكوف [١] وأستروفسكى [٢] الروسيان ، لم تحتفِ بذلك البناء الكلاسيكى المتعارف عليه ، وهذا هو السبب الذى جعل ناقدًا مثل د. محمد مندور يعتبر أن « مسرح چوركى ليس إلا امتدادًا لأوتشرك تشيكوف [٣] ، بفارق واحد هو وضوح الرؤية الثورية عند چوركى ، نظرًا لامتداد العمر به بعد وفاة تشيكوف سنة ١٩٠٤ ، ليشهد ثورة ١٩٠٥ ، التى لم تنجح ،

---

(١) أنطون بافلوفتش تشيكوف(١٨٦٠ - ١٩٠٤) الذى يرى فيه معظم النقاد قمة الطبيعية ، ومن أعماله المسرحية : مسرحية (بستان الكرز) التى تعد من أعماله المهمة ، فالمسرحية قصة رمزية مفعمة بالحنين عن الضياع الذى يحل بطبقة النبلاء الروسية وعجزها عن الالتقاء والتفاهم مع العالم الحديث. ومن أعماله الأخرى : (الخالة فانيا) و(النورس) و(الشقيقات الثلاث) .

(٢) ألكسندر أستروفسكى (١٨٢٣ - ١٨٨٦) يختلف عن جوجول وبوشكين اللذين لم يكتب كل منهما أكثر من بضع مسرحيات ، لكنه ألف - وحده - أكثر من أربعين مسرحية .ومن مسرحياته (لكل حكيم غلطة) .

(٣) الأوتشرك - يعنى الاستطلاع أو الريبورتاچ .

والروح الثورية المتأججة بين صفوف الشعب الروسى ، وكذلك ثورة ١٩١٧ » [١] .

إن الخلل الذى أصاب منظومة القيم - لدى هؤلاء الذين يعيشون فى الأعماق السفلى للمجتمع الروسى - والتى أشرت إليها فى بداية هذه المقدمة - يرجع إلى فساد القيصر ، وحاشيته ، وحين يستشرى الفساد فى أى مجتمع من المجتمعات ، فإن منظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية يصيبها العطن ، ومن الصعب - فى هذه الحالة - أن يكون هناك معنى لقيم : الشرف أو الضمير أو الحقيقة أو الحق أو العدل أو الحب أو الحرية ، كلها تصير إلى عدم ؛ لأن فاقد الشىء لا يعطيه ، ربما يكون هناك استثناء عن القاعدة ، لكـــــننا - هنا - نتحدث عن القاعدة وليس عن الاستثناء .

وسوف أضرب أمثلة لتوضيح ذلك المعنى :

فاسيلى الشاب الذى يعمل لصًا يتساءل : « ما قيمة الشرف أو الضمير ؟ إنك لا تستطيع أن تلبسهما فى قدميك بدل الحذاء ، الشرف والضمير مهمان بالنسبة للأقوياء القادرين فقط » .

وفى موضع آخر من المسرحية نراه يقول : « أحاول أن أسرِّى عن نفسى ، بتذكر أولئك الذين يسرقون أضعاف ما أسرق،

---

(١) د. محمد مندور - الأصول الدرامية وتطورها - مقال - مجلة المسرح - العدد السابع - يوليو ١٩٦٤ .

ويحاطون بالاحترام والتقدير ، ولكن ذلك لا يسرّى عنى ؛ لأنه ليس الحل لما فى نفسى . . وأنا حينما أقول ذلك ، لست مدفوعًا بما يسمونه الضمير ؛ فأنا لا أؤمن به ، شىء واحد أعلمه جيدًا هو أن هذا الطريق ليس طريق الحياة الحقة ، أريد أن أحيا حياة أفضل ، ويجب على أن أحيا بطريقة تدعونى إلى احترام نفسى » .

وهذا ديالوج آخر يدور بين التترى - الذى يعمل حمالا فى الميناء - وساتن القاتل ولوز الذى يعمل حمالا أيضًا فى الميناء .

التترى (**متحمسا**) : يجب أن تلعبوا بأمانة . .

ساتن : لماذا ؟

التترى : ماذا تعنى ؟

ساتن : لا أعنى إلا ما قلته . . لماذا يجب أن نلعب بأمانة ؟

التترى : ألا تعلم لماذا ؟

ساتن : أنا . . لا . هل تعلم أنت ؟!

(يبصق التترى باحتقار شديد ، بينما يضحك الآخرون منه)

جويتر أو لوز (مازحًا) : يا لك من إنسان مضحك أيها التترى ، ألا تفهم أنهم لو بدأوا يعيشون بشرف وأمانة ، فسيموتون من الجوع بعد ثلاثة أيام . .

وكلستش صانع المفاتيح [1] يندهش من الذين يبحثون عن

---

(١) عمل جوركى فى شبابه صانعًا للمفاتيح مثل كلستش .

الحقيقة ، ويتساءل وهو فى حالة منْ اشتعلت فيه النار : أى حقيقة ؟ أين الحقيقة ؟ لا عمل ولا قوة ولا مكان أعيش فيه ! كل ما بقى هو أن أموت كالكلب ! أليست هذه هى الحقيقة ؟! يارب رحمتك ، ما قيمة الحقيقة بالنسبة إلى ؟ إنى أريد أن أتنفس بحرية أكثر ، هذا هو كل ما أريده ، أى ذنب جنيته ؟! وما قيمة هذه الحقيقة التى تتشدقون بها ؟ ليست لدى فرصة للحياة يارب يا قادر . . ليست هناك أية فرصة !! هذه هى الحقيقة .

- ويسرد الواعظ (لوقا) حكاية طريفة من حكاياته ، يدلل بها على مفهومه للعدل ، وللحق ، ومفهوم زملائه من ساكنى القبو تجاه تلك القيم ، يقول : حضر إلى سيبريا عالم نفته الحكومة ، وكان يحمل معه كثيرًا من الخرائط والكتب ونحوها ، فقال له رجل كان معه : هل تصنع فيّ معروفًا وتدلنى على مكان أرض الحق والعدل ، وطريق الوصول إليها ؟ ففتح العالم كتبه ، واستشار خرائطه ، بحث هنا ، وبحث هناك ، فلم يجد أرض الحق والعدل ، لا هنا ولا هناك ، كل شىء فى مكانه ، وكل البلاد والأراضى واضحة فى أماكنها ، أما أرض الحقيقة والعدل فلا وجود لها . . لم يصدقه صاحبه ، وقال له : لابد أنها موجودة ، حقق النظر مرة ثانية ، وإلا فكتبك وخرائطك ، لاقيمة لها إذا ما فشلت فى إرشادنا إلى أرض الحقيقة والعدل ،

فغضب العالم وقال : إن خرائطى أدق خرائط فى العالم ، أما أرض الحقيقة والعدل فلا وجود لها فى أى مكان ، فغضب صاحبنا وقال محتدًا : لقد عشت وقاسيت كل هذه السنوات ، معتقدًا فى وجودها ، ثم تأتى خرائطك لتدحض هذا الاعتقاد ؟! هذه سرقة أيها القذر الحقير ، أنت لص ولست عالما ، وضربه بقبضته على أنفه مرتين ، ثم تركه وعاد إلى غرفته ، حيث شنق نفسه .

والكذب الذى يلجأ إليه هؤلاء البؤساء ، إنما يتخذونه ستارا لخداع غيرهم ، ولكن الإنسان المستقل - كما يقول ساتين القاتل فى المسرحية - سيد نفسه ، الذى ليس عالة على أحد ، هذا الإنسان يستطيع أن يستغنى عن الكذب ؛ لأن الكذب عقيدة العبيد والأسياد ، أما الصدق فهو إله الإنسان الحر . .

إن الجو العدمى ، الكابوسى الذى يقدمه (مكسيم چوركى) فى هذا النص باستعراضه لتلك النماذج التى تعتمل فيها المشاعر المتناقضة من الخير والشر ، والقبح والجمال ، والحب والكراهية ، والدنس والطهر ، يعريها أمامنا ، ويكشفها من أجل التغيير ، أو قل الرغبة فى التغيير ، إنه حال المجتمع الروسى قبل الثورة ، ذلك المجتمع الذى شهد عدة اضطرابات مهدت للثورة البلشفية ، وجعلت مكسيم چوركى كاتبا منحازا للطبقة المطحونة ، التى ظلت لسنوات طويلة وقودًا للأغنياء والنبلاء ، وقد يرى القارئ

لأعماله أن شخوصه يرددون الشعارات ، فتصبح المسرحية وكأنها دعائية ، إلا أننا نستطيع أن نقول : إنه استطاع أن يستدعى إلى خشبة المسرح أشخاصًا حقيقيين يتحدثون بتلقائية كما يحسون ، رغبة منه فى إحداث التغيير بهم ، فها هو ساتين يتحدث فى الفصل الرابع ، وقبل نهاية أحداث المسرحية بوقت قليل قائلاً : إنه سأل الواعظ (لوقا) مرة : « لماذا يعيش الناس أيها الجد ؟ فأجاب : يعيشون فى انتظار حدوث شىء أفضل يا صاحبى ، خذ النجارين مثلا ، إنهم يعيشون كلهم حياة قذرة تافهة ، ولكن سيأتى يوم يولد فيه نجار لم تشهد له الأرض مثيلاً ، ليس له نظير ، فيغمر ضوؤه الجميع ، ويقلب صناعة النجارة رأسًا على عقب ، فإذا بها تتقدم عشرين عامًا فى قفزة واحدة ، وهذا شأن سائر الناس ، هذا شأن الحدادين وصانعى الأحذية وغيرهم من العمال والفلاحين كذلك ، وحتى الأسياد ، كلهم يعيشون فى انتظار حدوث شىء أفضل ، يعيشون مائة عام ، وربما أكثر من ذلك فى انتظار ظهور رجل أفضل ممن حولهم » .

أحمد عبد الرازق أبو العلا

إبريل ٢٠٠٤

مقدمة الطبعة الأولى

لا تزال حياتنا الفنية - كمعظم جوانب حياتنا الأخرى - ميداناً للعبث والفوضى والتخلف . . والمسرح ، هذا الصرح الهائل لتثقيف الشعوب ودفعها إلى حياة أفضل ، لا يزال فى بلادنا يترنح أمام ضربات السينما ، ويعانى آلاما مبرحة ، لا أحد يعلم أهى سكرات الموت أم تباشير الولادة ؟

ولقد أجمع النقاد الفنيون على أن المسرح المصرى فى محنة . وأقول « النقاد الفنيون » مع بعض التجاوز ، فلم تتكون بعد فى بلادنا طبقة من النقاد المثقفين ثقافة عميقة قادرة على التوجيه والخلق بدون أن تتأثر بحسابات أقسام الإعلانات فى الصحف ، ولعل هذا نفسه أحد أسباب محنة المسرح والسينما فى مصر .

ولقد اختفت الآراء فى تفسير أسباب هذه المحنة ، ولكن لا جدال عندنا فى صحة ما قرره الدكتور محمد مندور منذ زمن بعيد حين قال :

« . . وأمر السينما والمسرح والراديو والكثير من المجلات متروك بين أيد أخشى أن لا تستطيع أداء رسالتها ، بل لا تعرف

أن لها رسالة . وهذا إجرام فى حق الشعب وحق الوطن ، ولهذا يجب أن يعنى بها النقاد ، فهى وإن تكن أشياء فانية عابرة محدودة الأثر فى تثقيف الشعوب ثقافة حقيقية ، إلا أنها واسعة الانتشار شديدة الضرر ، وليس من شك فى أنه من الواجب أن نساهم فى تجميل حياة مواطنينا وحمايتها والدفاع عنها إلى جانب ما نستطيع أن نكتب لأنفسنا أو للخواص من الناس . . » .

نعم . . يجب أن نساهم فى تجميل حياة مواطنينا وحمايتها والدفاع عنها !!

ونحن وإن لم نكن بصدد كتابة بحث عن أسباب تخلف المسرح المصرى ؛ إلا أنه من اليسير أن نفطن إلى عامل رئيس من عوامل هذا التخلف ، ذلك هو افتقارنا إلى المؤلف المسرحى المصرى الذى يعيش حياة مصر وينفعل بها ويجعل هدف حياته التعبير عنها . .

وما أظن أن جيلنا قادر على إنجاب مثل هذا المؤلف ، وإن كانت عليه مهمة خطيرة ؛ هى التمهيد لخلق هذه الطبقة من المؤلفين المسرحيين . . ولن يكون هذا إلا بفتح النوافذ للشعب والمثقفين على ألوان مختلفة من روائع المسرح العالمى عن طريق الترجمة والتمصير . . وها هو ذا نادى خريجى كليات الآداب بالإسكندرية يقدم هذه المسرحية كلبنة صغيرة فى سبيل بناء

مسرحنا المصرى وقيامه بدوره فى النهوض بشعبنا وبثقافتنا ، راجيا أن يتبعها بجهود أخرى من حين إلى حين .

مكسيم چوركى :

تُرجمت إلى العربية فى الفترة الأخيرة عدة قصص لچوركى ، لم تعطنا بالرغم من تعددها فكرة كاملة عن ذلك الكاتب العملاق . . فمسرحياته الرائعة التى تربو على الخمس عشرة مسرحية ، والتى تجعل منه علما من أعلام المسرح العالمى - لم يقدم أحد من قبل على تقديمها إلى قراء العربية .

بدأت قصص چوركى القصيرة تنشر حوالى عام ١٨٩٢ فى بدء عهد التحول فى روسيا ، وسرعان ما استرعت انتباه الرأى العام ، وأصبح مفهوما أن المؤلف الصغير الذى لم يتجاوز الرابعة والعشرين أكثر خبرة بحقائق الحياة فى المجتمع الروسى من معظم محترفى الكتابة فى ذلك الوقت . . فقد نشأ فى بيئة وضيعة قاسية عند جده الذى كان يملك مصنعا صغيرا للأصباغ . وقد اضطر وهو فى سن مبكرة إلى أن يعول نفسه فكان يعمل كثيرا متنقلا من عمل إلى آخر وهو فى حالة شبه جوع دائم .

وكان من الطبيعى أن ينتهى به الأمر إلى أن يصير إسكافيا مثل «أليوشكا» ، أو «موّلف» مفاتيح مثل «كلستش» اللذين صورهما فيما بعد فى المسرحية التى بين أيدينا . كان من المحتمل أن ينتهى

چوركى إلى هذا المصير لولا ظمأه المستمر - الذى لا يعرف الرى - إلى المعرفة . وبطريقة ما استطاع أن يحصل على قسط ضئيل من التعليم يسمح له بالعمل كاتبا لدى أحد المحامين ، وكان هذا عملا محترما نسبيا ، ولكنه لم يعطه الشبع الروحى الذى كان ينشده دائما ، فدفعه شغفه بدراسة أحوال المجتمع الذى يعيش فيه إلى القيام بجولة كبيرة طاف خلالها أرجاء روسيا . . فانحدر من مسقط رأسه «نيجنى نوفجورود» فى أعالى نهر الفولجا حتى بلغ جنوب القوقاز ، ثم عاد ثانية بعد أن قضى سنتين فى التشرد والتجول مواجها الحياة الحقيقية المجردة من كل آثار الحضارة التقليدية المندثرة ، ومعاشرا كل أنواع حالات المجتمع ونفاياته .

عاد چوركى مرة ثانية إلى المدينة ليعمل مخبرا فى إحدى الصحف الإقليمية ، مواصلا كفاحه بالرغم من فترات السجن المتلاحقة التى حكم عليه بها ؛ لاتصاله بالثوار ؛ ولكتاباته الصريحة التى كانت تعتبر فى ذلك الوقت خارجة على القانون . . وسرعان ما لاقت قصصه القصيرة النجاح الذى سمح له بالتفرغ لإنتاجه الفنى .

كان طبيعيا أن ينضم چوركى للثوار ؛ نظرا لتجاربه العديدة المبكرة وخبرته بمشاكل المجتمع الذى يعيش فيه . ولم تكن ، ثورته قاصرة على الأوضاع الفاسدة التى قضت على سواد الشعب أن يحيا

حياة وضيعة مهينة لإنسانيتهم ، وإنما كانت موجهة كذلك ضد الطبقة المثقفة التى فقدت القدرة على فهم الحياة والرغبة فى القيام بعمل جدى ، وآثرت العافية بالانصراف إلى أعمالها اليومية التى تكفل لها لقمة العيش ، وحياة خالية من المتاعب .

ولقد صور چوركى فى القصة تلو القصة عالم المتشردين والأفاقين الذين كان مجرد وجودهم وصمة كبيرة فى جبين النظام الاجتماعى القائم وقتذاك ، ولكن الغريب فى الأمر أنه كان يصورهم مخلوقات قوية تستطيع التغلب على حياتها المحزنة بالاستمتاع بعواطفها بحرية ، وصب احتقارها على الضعفاء والمتخاذلين ، وتمجيد قوتها الشخصية ، وتحررها من قيود التقاليد .

أثارت هذه الشخصيات الروسية المغرقة فى الرومانسية - والقريبة الشبه بشخصية المتشرد الأمريكى - خيال الجمهور الروسى وإعجابه ، وأصبح چوركى رمزا للمعارضة الثورية ضد المجتمع القائم ، فازداد ولع الشعب به ، ولاسيما الجيل الناشئ .

مسرحيات مكسيم چوركى :

بدأ چوركى يعالج الكتابة للمسرح وهو فى أوج شهرته الأدبية ، فأخرجت مسرحيته «المواطنون المغرورون» «The Smug Citizens» على مسرح الفن بموسكو عام ١٩٠٢ وهذه المسرحية مع أنها لا تعد من أعماله الممتازة ، إلا أنها تتسم بسمات خاصة

كفلت نجاحها لدى الجمهور فى ذلك الوقت ، وإن لم تلاق مثل هذا النجاح لدى النقاد .

وأبرز هذه السمات : تصويرها للعامل على أنه مخلوق أرقى من المثقف العادى فمثالياته عملية؛ يعرف ماذا يرى ، ولديه من قوة الإرادة ما يحقق له آماله . كل ذلك جعل هذه الشخصية هى الأصل بالنسبة لكل أبطال الطبقة الكادحة الذين يحفل بهم الأدب الروسى .

أما چوركى نفسه فقد كان أبعد الناس عن الرضى عن مسرحيته الأولى ، فقد كتب إلى تشيكوف عقب الانتهاء منها يقول :

«وبعد ، فلقد تحولت المسرحية إلى شىء كثير الضجيج والجلبة ، وهى مع ذلك سخيفة وتافهة . . وهى لا تعجبنى أبدا . لقد اعتزمت أن أكتب هذا الشتاء بدون إبطاء مسرحية ثانية ، فإذا لم تعجبنى فسأكتب عشر مسرحيات أخرى حتى أحصل على ما أريد! . . وما أريده هو أن تكون المسرحية متناسقة وجميلة مثل الموسيقى» .

وهذه الإشارة إلى الموسيقى ليست فى الواقع إلا انعكاسا لإعجاب چوركى بمسرحيات تشيكوف . ولقد خلق چوركى هذه الصفة إلى حد بعيد فى مسرحيته الثانية «الحضيض» ، وإن كانت موسيقاها تنبع عن تفاعل أفكار أجيد التعبير عنها وعن

مقومات دقيقة لشخصياتها ، بعكس مسرحيات تشيكوف التى تصدر موسيقاها عن الترانيم العاطفية التى تصاحب حركة المسرحية .

وليس فى إمكاننا فى هذه العجالة أن نشير إلى كل مسرحيات چوركى ؛ وإن كان من الممكن أن نحاول - على وجه التقريب - تخطيط السمات الواضحة المشتركة بينها .

تمتاز معظم مسرحيات چوركى بجو غريب جديد خاص بها ، هو غريب بالنسبة للمسرح التقليدى وقواعده المتوارثة ، وإن كان أقرب ما يكون إلى جو الحياة الحقيقية ، كما تمتاز بشخصياتها الحية التى تخصص چوركى فى التقاطها من دروب الحياة وإعطائها على المسرح كل مقومات حياتها النفسية والاجتماعية .

وچوركى بعد هذا قلما يتقيد بحرفية الكتابة المسرحية ؛ فأغلب أعماله خالية من الحبكة التقليدية التى تتعقد حوادثها فى الفصول الأولى حتى تصل إلى «الذروة» ثم تبدأ بعد ذلك تنحل فى الفصول الأخيرة ، كما أنها قلما تدور حول مشكلة اجتماعية أو أخلاقية واحدة تتخصص فى عرضها ورسم طرق العلاج لها . . فهى لا تعدو أن تكون عرضا بسيطا ساذجا للحياة نفسها بكل ما فيها من عيوب ومشكلات ، وللأشخاص الذين يعيشون هذه الحياة بكل ما فيهم من انحطاط وسمو وتناقض ، تربط بينها وتوجد لها الوحدة الفنية

المتماسكة روح چوركى الساخرة الدائمة التساؤل والبحث ، وفنه الواقعى الأصيل؛ «ولقد كان چوركى دائما أضخم مما أراد أن يكون ؛ لأن إحساسه كان أعمق من تفكيره» ولعل فى هذه العبارة الأخيرة - التى وصفه بها الشاعر الروسى الكبير : إلكسندر بلوك - سر عظمته الفنية وعبقريته المبدعة .

هذه المسرحية :

تقع حوادث هذه المسرحية فى إحدى المدن الواقعة على نهر الفولجا فى أوائل هذا القرن ، والأشخاص الذين سنلتقى بهم فيها من سكان منزل «كستليوف» يمثلون الطبقة المعروفة فى روسيا باسم «الحفاة» . وهو اسم يطلق على الأفراد الذين اعتادوا القيام بأعمال مؤقتة غريبة ، ولكنهم يتكسبون فى الأغلب عن طريق حصافتهم واحتيالهم على الناس .

ويكثر عدد هذه الطبقة المنبوذة - بصفة خاصة - فى الموانئ والمدن الساحلية التى تعتبر دائما بيئة صالحة لإنجاب المجرمين والمتشردين .

ونلاحظ أن ثلاثة من أشخاص المسرحية من ربيبى السجون وهم : «البارون» ، و«ساتن» ، و«ڤاسيلى» ، وكذلك «لوقا» - إذا أخذنا بالقصة السينمائية التى استمدها چوركى من هذه المسرحية - ولو أنه عاد إلى الطريق القويم كما سنرى .

وثلاثة آخرون يمثلون شخصية العامل الشريف الواعى ، وهم مولف المفاتيح «كلستش» ، وحمالا الميناء «لوز» و«التترى» . . وحتى صانع القبعات الساخر «بوبنوف» مستقيم هو الآخر ولكن على طريقته الخاصة .

والمقابلة بين هذه الشخصيات واضحة الدلالة . وإن كان الهدف الأخلاقى للمسرحية لا يتضح فى الغالب إلا من خلال أحاديث كل من «ساتن» و«لوقا» و«ڤاسيلى» .

وحينما أخرجت «الحضيض» على مسرح الفن بموسكو لاقت نجاحا منقطع النظير ، وأجازها النقاد مع شىء قليل من التحفظ . فقد حيرتهم الرسالة الأخلاقية التى تهدف إليها المسرحية ، هل كان العجوز «لوقا» بحديثه الناعم وأكاذيبه المريحة التى يظل يوزعها على الناس طوال المسرحية ، هل يعتبر لوقا هذا معبرا عن رأى چوركى ؟ . . وهل تؤخذ أفكاره الغريبة على هذا الأساس بعين الجد والاعتبار؟

كادت المناقشات الحامية التى دارت حول المسائل الأخلاقية التى تضمنتها المسرحية تطمس هذه الحقيقة ألا وهى أن «الحضيض» عمل فنى رائع يزخر بحياة متدفقة ، كما أنها تعرض شخصيات فريدة جديدة على المسرح . هذا إلى جانب العبارات المأثورة الممتلئة حكمة وذكاء والمنتشرة هنا وهناك خلال المسرحية .

وهى لكل ذلك توضع مع مسرحيتى «الذكاء المهلك Wit Works Woe» لجريبدوف ، و«المفتش العام The Inspector General» لجوجول فى مرتبة واحدة لا يتطاول إليها أى إنتاج مسرحى روسى آخر .

وليس معنى هذا أن «الحضيض» عمل فنى فريد خال من كل عيب ، فقد استطاع تشيكوف أن يضع أصابعه على بعض العيوب فى خطاب كتبه إلى چوركى يقول فيه :

«لقد حذفت فى الفصل الرابع أهم الشخصيات (ما عدا الممثل) ولم تقدر عاقبة ذلك ، فقد يبدو هذا الفصل سخيفا ولا ضرورة له وخاصة بعد أن اختفى أهم الممثلين ، ولم يبق سوى المتوسطين منهم . وكذلك فإن موت «الممثل» بالغ الفظاعة تماما كأنك تضرب المتفرج فوق أم رأسه فجأة بدون أن تعده لذلك . . وهذا البارون كيف وصل إلى هذا المسكن الليلى ؟ . . ولماذا هو بارون؟ لم يتضح كل هذا بما فيه الكفاية أيضا» .

ولم يستمع چوركى لنصيحة تشيكوف وأبقى الفصل الرابع كما هو .

وواضح أن تشيكوف فى نقده هذا إنما يصدر عن الأصول المسرحية المتعارف عليها وللقارئ بعد أن ينتهى من قراءة المسرحية أن يوافقه فيما ذهب إليه ، أو يرى معى فى موت الممثل وتعليق

«ساتن» عليه تعليقا قصيرا يقطر بالسخرية المرة - التى هى طابع المسرحية كلها - أروع خاتمة كان يمكن أن تنتهى بها هذه الشحنة الزاخرة من الحيوات والمشاعر التى قدمها لنا چوركى فى مسرحيته .

وبعد ، فإن حياة المسرحية فى تمثيلها ، ولقد أقدمت على نشر هذه المسرحية فى كتاب لعلمى بأن رجال المسرح المصرى يحجمون عادة عن اقتحام أجواء مسرحية جديدة كتلك التى نعرضها «الحضيض» بحجة عدم استساغة الجمهور لها . ولكنى أرى أن هذا الإحجام قد آن له أن ينتهى ، وأن على القائمين على مسرحنا إن أرادوا له الحياة والنهوض أن يقدموا لنا كثيرا جدا من الأجواء الحية المختلفة التى يعرضها المسرح العالمى الحديث .

المترجم

الإسكندرية : أكتوبر سنة ١٩٥٣

أشخاص المسرحية

البارون : (The Bairon)	السن ٣٣ سنة
كفاشنيا : (Kvashnya)	السن ٤٠ سنة
بوبنوف :(Bubnov)	السن ٤٥ سنة
ناستيا : (Nastya)	السن ٢٤ سنة
آنا : (Auna)	السن ٣٠ سنة
ساتن : (Satin)	حوالى ٤٠ سنة
كلستش : (Klestch)	السن ٤٠ سنة
الممثل : (The Actor)	فى العقد الخامس
كستليوف : (Kostylyov)	صاحب المنزل ٥٣
ڤاسيلى : (Vassilyvassya)	السن ٢٨ سنة
ناتاشا : (Natasha)	شقيقة ڤاسيليا ٢٠ سنة
لوقا : (Luka)	حاج ٨٠ سنة
أليوشكا : (Alyoshka)	إسكاف ٢٠ سنة
فاسيليسيا : (Vasslissaka Povna)	زوجة كستليوف صاحب المنزل ٢٦
مدڤديف : (Medvedev)	شرطى وعم ناتاشا وفاسيليا ٥٠ سنة
التترى : (Thetattre)	من حمالى الميناء
لوز (Thecoiter)	

(*) الاسم باللغة الروسية مشتق من مرض الرقبة .

الفصل الأول

قبو مظلم كالكهف ، السقف شديد التقوس ، ومسود من أثر الدخان ، وبه ترميمات عديدة . يدخل الضوء من جهة النظارة ، ومن نافذة مربعة فى أعلى الحائط الأيمن . . . الركن الأيمن مفصول بحاجز خشبى رقيق خلفه حجرة فاسيلى - وبجوار الباب المؤدى إلى هذه الحجرة يوجد سرير بوبنوف (*) . فى الركن الأيسر فرن روسى كبير بجواره الباب المؤدى إلى المطبخ حيث تسكن كفاشنيا والبارون وناستيا - بين الفرن وباب المطبخ سرير كبير محجوب بستار قذر من القطن المطبوع ، وفى كل مكان بحذاء الجدران توجد أسرة خشبية منخفضة ، وقريبا من الحائط الأيسر توجد كتلة من الخشب عليها مطرقة وسندان ، يجلس أمامها كاستش على كتلة أصغر مشغولا بتجريب

(*) وهو أريكة خشبية منخفضة من النوع الذى كان مستعملا فى سجون روسيا وفى فنادقها الرخيصة ، ومثله بقية الأسرّة .

مفاتيح فى أقفال قديمة ، وإبريق شاى قديم مصنوع من الصفيح ، وقدوم ، وبعض المبارد .

فى وسط المكان منضدة كبيرة عليها إبريق شاى روسى (ساموفر) وحولها أريكتان خشبيتان ومقعد خشبى مربع لا ظهر له ، وهى جميعا غير مطلية وقذرة . كفاشنيا أمام المائدة تعد الشاى ، وبجوارها البارون يقضم قطعة من الخبز الأسمر فى حين تجلس ناستيا على المقعد متكئة على المنضدة وهى تقرأ فى كتاب بال . آنا نائمة على السرير خلف الستار تسعل سعالا مسموعا . بوبنوف - صانع القبعات - جالس على سريره الخشبى وقد وضع قالب قبعات بين ساقيه يقيس عليه سروالا ممزقا باحثا عن خير طريقة لقص القماش ، وقد تناثر حوله صندوق قبعات ممزق به نقب ، قصاصات من القماش ، وأثواب قديمة . ساتن - وقد استيقظ من النوم لتوه - مستلق على سريره يصدر أصواتا حلقية عالية . يجلس (الممثل) أعلى الفرن بحيث يراه الجمهور - يتململ ويسعل .

الوقت صباح فى مستهل الربيع

البارون : حسنا – استمرى . .

كفاشنيا : قلت له: لا يا صديقى ابتعد عنى . . فقد جربت كل ذلك من قبل ولن تستطيع الآن أن تجعلنى أقف معك أمام القس حتى ولو اشتريت لى مئات من «الجنبرى» المسلوق .

لوبنوف : **(لساتن)** : – علام هذه الضجة ؟ **(يستمر ساتن فى تثاؤبه وضجيجه)**

كفاشنيا : وقلت له أيضا : أنا السيدة الحرة ومالكة نفسى ، أضع اسمى فى جواز سفر شخص آخر ، وأجعل نفسى عبدة لرجل؟ أبدا لن أتزوجه ولو كان أميرا أمريكيا .

كلستش : كذابة !

كفاشنيا : ماذا تقول ؟

كلستش : إنك تكذبين وسوف تتزوجين مدقديف .

البارون : **(يخطف كتاب ناستيا ويقرأ عنوانه)** : «الغرام القاتل» ! **(يضحك)** .

ناستيا : **(مادة يدها)** : أعطنى الكتاب . . . ولا تكن طفلا

(البارون يحملق فيها ملوحا بالكتاب فى الهواء) .

كڤاشنيا : **(لكلستش)** : أنا كذابة أيها الجدى الأحمر؟! أنا كذابة؟! كيف تجرؤ على مخاطبتى هكذا ؟

البارون : **(يضرب ناستيا على رأسها بالكتاب)** : يالك من غبية يا ناستيا!

ناستيا : **(وهى تستخلص الكتاب من يده)** : آخذة الكتاب .

كلستش : هاها . . آسف إنك سيدة عظيمة ولكنك مع ذلك ستتزوجين مدڤديڤ فذلك هو منتهى أملك .

كڤاشنيا : آه بالطبع - فليس لدى فرصة أحسن . . لقد أضنيت زوجتك حتى أوشكت على الموت .

كلستش : اخرسى أيتها الخنزيرة العجوز! ليس هذا شأنك !

كڤاشنيا : إنك لا تحب سماع الحقيقة .

البارون : ها هى ذى تعود ماذا تفعلين يا ناستيا ؟

ناستيا : **(بدون أن ترفع رأسها عن الكتاب)** : ابتعد عنى!

آنا : **(تبرز رأسها من وراء الستار)** : (يوم آخر يبدأ ! بالله عليكم كفوا عن الصراخ والعراك) !

كلستش : ها هى ذى تعود لأنينها ثانية .

آنا : كل يوم نفس الحكاية . . ألا تدعوننى أموت فى هدوء؟!

بوبنوف : لم يحدث أن منع الضجيج أحدا من الموت .

كڤاشنيا : **(ذاهبة إلى فراش آنا)** : كيف تستطيعين الحياة مع وحش كهذا ؟!

آنا : اتركينى وشأنى .

كڤاشنيا : فليكن – أنت معذبة صابرة أيتها الروح البائسة – كيف صدرك اليوم؟ أحسن؟

البارون : كڤاشنيا! هذا وقت الذهاب إلى السوق .

كڤاشنيا : أنا قادمة **(لآنا)** هل لك فى بعض فطائر ساخنة باللحم؟

آنا : لا ، أشكرك . . لماذا أضايق نفسى بالأكل ؟

كڤاشنيا : هونى . عليك إن سخونة الفطائر مريحة لصدرك – سأترك لك شيئا منها فى طبق – كليها متى وجدت فى نفسك الرغبة . **(للبارون)** هيا بنا أيها النبيل . . **(لكلستش)** أنت يا شيطان! **(تذهب إلى المطبخ)** .

آنا : **(تسعل)** : يارب !

البارون : **(يربت على كتف ناستيا)** : اتركى هذا يا غبية .

ناستيا : **(بصوت عال)** : اذهب – لا حاجة لى بك .

(البارون يتبع كڤاشنيا وهو يصفر) .

ساتن : **(يجلس فى فراشه)** : من الذى ضربنى ليلة أمس؟

بوبنوف : وهل هناك فرق ؟

ساتن : يبدو أنك محق - ولكن لماذا ضربونى؟

بوبنوف : هل قامرت ؟

ساتن : نعم .

بوبنوف : إذن فمن أجل هذا ضربوك .

ساتن : تباً لهم . . هؤلاء الملاعين الأقذار!

الممثل : **(يخفض رأسه من أعلى الفرن)** : إنهم سيضربونك ذات يوم حتى تموت .

ساتن : إنك غبى .

الممثل : لماذا؟

ساتن : لأنه لا يمكن قتل رجل مرتين !

الممثل : **(بعد فترة صمت)** : لا أفهم - ولم لا ؟

كلستش : الأفضل أن تنزل من فوق الفرن وتنظف المكان ؛ لقد طال بقاؤك هكذا بدون عمل .

الممثل : لا يعنيك .

كلستش : انتظر حتى تحضر ڤاسيليا ؛ إنها ستريك من الذى يعنيه هذا .

الممثل : إلى الجحيم بڤاشنيا - إن الدور فى الكنس اليوم على البارون . بارون!

البارون : **(يدخل من باب المطبخ)** : ليس لدى وقت للتنظيف أنا ذاهب إلى السوق مع كفاشنيا .

الممثل : ليس هذا من شأنى - لتذهب إلى السجن اذا شئت ولكنه دورك فى كنس الأرض وأنا لن أقوم بعمل غيرى .

البارون : يا للشيطان . . ناستيا ستكنس عنى - هيه . . أنت أيتها **(الغرام القاتل)** استيقظى **(يخطف منها الكتاب)** .

ناستيا : **(تعتدل فى جلستها)** : ماذا تريد؟ هات الكتاب أيها الصعلوك . تسمى نفسك نبيلا!

البارون : **(يعيد الكتاب إليها)** : ناستيا . . اكنسى الأرض بدلا منى . . هل ستفعلين؟

ناستيا : **(تذهب إلى المطبخ)** : لا - أشكرك .

كفاشنيا : **(تظهر على الباب وتخاطب البارون)** : هيا بنا - فهم يستطيعون تنظيف المكان بدونك . . لقد طلب إليك ذلك أيها الممثل ، وعليك أن تفعله . . والكنس لن يقصم ظهرك على أى حال .

الممثل : دائما أنا . . ولا أستطيع أن أفهم لماذا !

البارون : **(يدخل وعلى كتفيه عارضة خشبية معلق على طرفيها**

سلتان مليئتان بأوان مغطاة بقطع من القماش) : إنها ثقيلة اليوم .

ساتن : لم تكد تتمتع بكونك ولدت بارونا!

كڤاشنيا : **(الممثل)** : والآن هل تسمح بكنس الأرض؟ **(يخرج البارون تتبعه كڤاشنيا)** .

الممثل : **(ينزل من على الفرن)** : من العسير على أن أستنشق التراب **(يتحدث متعاظما)** ان أعضائى كلها قد تسممت بالكحول . **(يجلس على سرير خشبى ويغرق فى التفكير)** .

ساتن : أعضاء - تركيب .

آنا : كلستش .

كلستش : ماذا تريدين الآن ؟

آنا : لقد تركت لى كڤاشنيا بعض الفطائر هناك - كلها .

كلستش : **(يسير إليها)** : ألن تأكليها أنت؟

آنا : لا - أنا لا أريدها - لماذا آكل؟ أما أنت فتشتغل وتحتاج اليها .

كلستش : هل أنت خائفة؟ - لا تخافى . فقد تتحسن صحتك .

آنا : اذهب وكل الفطائر - أما أنا فإنى أشعر بقرب نهايتى .

كلستش : **(يتحرك مبتعدا عنها)** : لا تبإلى فقد يزول عنك المرض - إن هذا يحدث أحيانا . **(يختفى فى المطبخ)** .

الممثل : **(بصوت عال كمن استيقظ فجأة)** : لقد قال لى الطبيب أمس فى المستشفى إن أعضاءك قد تسممت تماما بالكحول .

ساتن : **(مبتسما)** : - تركيبك .

الممثل : **(بإصرار)** : ليس تركيبى وإنما أعضائى .

ساتن : أنت أبله .

الممثل : **(يلوح بيده فى وجهه)** أنت وتخريفك . . إنى أتحدث جادا ، إذا كانت أعضائى مسممة بالكحول فإنه يضرنى كنس الأرض واستنشاق التراب .

ساتن : ميكروبات . هيه .

الممثل : ما هذه التمتمة؟

ساتن : كلمات . . هاك كلمة أخرى **(ترانسيت دنتال)** (transit - dental)

الممثل : ما معنى هذه الكلمة؟

ساتن : لا أدرى . . لا أستطيع أن أتذكر .

بوبنوف : ولماذا تقولها إذن؟

ساتن : لأنى متعب يا صديقى من كل الكلمات البشرية . .

من كلماتنا – لقد ضجرت منها – لقد سمعت كل كلمة منها ألف مرة .

الممثل : فى رواية **(هاملت)** يقول شكسبير **(الكلمات – الكلمات – الكلمات!)** رواية رائعة ؛ لقد قمت فيها بدور حافر القبور .

كلستش : **(يدخل من باب المطبخ)** : ومتى ستقوم بدور الكناس؟

الممثل : ليس من شأنك . **(داقًا على صدره)** ما أجمل **(أوفيليا)** أيتها الحورية الحسناء ، اشفعى لى فى ذنوبى كلها – **(تسمع من خارج المسرح ضجة ، وصراخ وصوت صفارة شرطى . يرجع كلستش إلى عمله وقد أمسك بمبرد فى يده)** .

ساتن : أنا أحب الكلمات الغريبة التى لا أستطيع فهمها – حينما كنت صبيا كنت أعمل فى مكتب تلغراف وكنت أقرأ كثيرا من الكتب –

بوبنوف : إذن فقد كنت عامل تلغراف أيضا؟

ساتن : نعم – وكانت لدى مجموعة من الكتب القيمة المليئة بالكلمات الغريبة ، كنت شخصا مثقفا .

بوبنوف : سمعت هذا مائة مرة – فماذا فى ذلك؟ – لقد كنت

أنا صانع فراء ، فى يوم من الأيام ، وكان لى دكان
خاص بى وكانت يداى مصفرتين من صبغ الفراء .
كانتا مصفرتين حتى مرفقى . . وكنت أظن أنهما لن
تتخلصا من هذا اللون أبدا . . وأنى سأذهب إلى
قبرى بذراعين مصفرتين . . ولكن انظر إليهما
الآن . . هيه إنهما قذرتان ليس إلا .

ساتن : وماذا بعد ذلك ؟

بوبنوف : لا شىء . . هذا كل ما فى الأمر .

ساتن : ما الذى تقصده بهذه القصة؟

بوبنوف : العظة ولا شىء غير العظة . . وهى تتلخص فى أنه
لا يهم مطلقا كيف تطلى نفسك - لأن ذلك كله
سيتلاشى . . سيتلاشى كله .

ساتن : أوه . . إن عظامى تؤلمنى .

الممثل : **(يجلس واضعا يديه حول ركبته)** : التعليم سخف -
وإنما المعول على الموهبة . . كنت أعرف ممثلا لا يكاد
يقرأ حرفا واحدا . . ولكنه ما يكاد يعتلى خشبة المسرح
حتى يضج النظارة بالتصفيق وصياح الإعجاب .

ساتن : بوبنوف - أعطنى خمسة كوبكات .

بوبنوف : كل ما معى اثنان .

الممثل : أنا أعتقد أن الموهبة هى كل ما يحتاج إليه الممثل . . والموهبة هى ثقة المرء بنفسه وبقوته .

ساتن : أعطنى خمسة كوبكات . . وحينئذ أصدق أنك موهوب ، وبطل ، وتمساح ، وضابط بوليس ، وكل ما تريد - كلستش ، أعطنى خمسة كوبكات .

كلستش : اذهب إلى الجحيم . . فهنا كثير مثلك .

ساتن : لماذا تسب؟ أنا أعلم أنك لا تملك نقودا على الإطلاق .

آنا : كلستش إنى أشعر بالاختناق وبألم شديد .

كلستش : وما الذى أستطيع أن أفعله لك ؟

بوبنوف : افتح باب الصالة .

كلستش : أشكرك . . إنك تجلس على الفراش - بينما أجلس أنا على الأرض؛ دعنى آخذ مكانك وحينئذ تستطيع أن تفتح الباب كما تريد . . وعلى كل حال فأنا مصاب بالزكام .

بوبنوف : (بهدوء) : - ليس هناك ما يدفعنى إلى فتح الباب . . إنها زوجتك التى تريد ذلك .

كلستش : (عابسا) : إن الناس لا يتورعون عن طلب أى شىء .

ساتن : آه! إن رأسى يدور! . . أريد أن أعرف لماذا يضرب الناس بعضهم بعضا على الرأس .

بوبنوف : ليس على الرءوس فحسب - ولكنهم يفعلون ذلك ببقية أجزاء الجسم أيضا . **(وهو ينهض)** يجب أن أذهب لشراء بعض الخيط ، شىء غريب - أن صاحب البيت وزوجته لم يظهرا حتى الآن - لعلهما ضلا الطريق - **(يخرج)** .

(تسعل آنا . . ساتن نائم بلا حراك وقد توسد ذراعيه)

الممثل : **(ينظر حوله بعينين حزينتين ثم يتجه إلى فراش آنا)** : هل تشعرين بألم؟

آنا : الجو رطب هنا .

الممثل : إذا أحببت فإنى آخذك إلى الصالة . . هيا قومى **(يساعد آنا على القيام ويضع ثوبا قديما على كتفيها ثم يقودها إلى الردهة الخارجية متأبطا ذراعها)** هيا تقدمى أنا نفسى مريض . . مسمم بالكحول .

(يظهر كستليوف بالباب) .

كوستليوف : هل أنتما خارجان للنزهة ، أنتما زوج رائع - نعجة وكبش!

الممثل : أفسح الطريق – ألا ترى المرضى خارجين .

كستليوف : مر من فضلك **(يدندن بأغنية وينظر فى أنحاء المكان مرتابا – ثم يتجه برأسه إلى الناحية اليسرى كمن يحاول سماع ما يدور فى حجرة فاسيلى . كلستش فى مكانه يعالج مفاتيحه وقد قبض على مبرد فى يده وهو يراقب صاحب المنزل بطرف عينيه)** أنت تبرد . . هيه؟

كلستش : ماذا تقول؟

كستليوف : أقول إنك تبرد **(بعد لحظة صمت)** آه – عن أى شىء أردت أسألك؟ **(بسرعة وبصوت منخفض)** هل أتت زوجتى إلى هنا؟ –

كلستش : لم أرها .

كستليوف : **(يتحرك حذرا نحو حجرة فاسيلي)** : ياله من مكان فسيح هذا الذى تستأجره منى لقاء روبلين كل شهر! سرير ومكان للجلوس؛ أقسم أن هذا يساوى خمسة روبلات كاملة . . أعتقد أنى سأرفع الايجار نصف روبل .

كلستش : ارفعنى أنا من رقبتى واخنقنى فهذا أفضل . . إنك ستموت عما قريب وليس هناك ما يشغل بالك سوى أنصاف الروبلات .

كستليوف : لماذا أخنقك ولن يستفيد أحد من هذا؟ ليحفظك الله أيها الرجل الطيب ، ولتعش ملء الحياة ، ولكننى سأرفع إيجارك نصف روبل . فهذا سيجعلنى أزيد كمية الزيت التى أشتريها لقنديلى فى الهيكل وسيزيد هذا اشتعال قربانى أمام الهيكل المقدس ، وهذا القربان سيكفر لى عن آثامى . . وعن آثامك أنت أيضا . . إنك لم تفكر فى آثامك قط . هل فعلت ذلك مرة؟ . . آه يا كلستش . أنت إنسان حقير ، ولقد ذبلت زوجتك بسبب حقارتك . ليس هناك من يحبك أو يحترمك ، وعملك يصك الآذان ويزعج الناس .

كلستش : هل جئت إلى هنا لتوبخني! **(ساتن يصدر صوتا كالزئير)** .

الممثل : لقد أجلست السيدة فى الردهة الخارجية وغطيتها . .

كستليوف : إنك طيب القلب أيها الصديق . . وهذا جميل سيحسب لك .

الممثل : متى؟

كستليوف : فى العالم الآخر يا صديقى - كل عمل ، كل شىء يدخل فى حساب الإنسان هناك .

الممثل : هذا هناك . . ولكن هنا ينبغى أن تكافئنى أنت على طيبتى .

كستليوف : هنا . . كيف أستطيع هذا ؟

الممثل : تنازل عن نصف دينى لك .

كستليوف : هيه . هه أتستمر فى فكاهاتك وتمثيلك يا صديقى العزيز ؟! ولكن لماذا تربط بين طيبة القلب والنقود؟ إن الطيبة فوق كل الاعتبارات المادية . . أما الدين الذى عليك فهو كما هو - دين ، ولذلك فسترده إلىّ . . إنى رجل عجوز فيجب أن تعاملنى معاملة طيبة دون أن تنتظر مكافأة .

الممثل : عجوز! . . أنت نذل .

(يدخل الممثل المطبخ وينهض كلستش ويخرج إلى الردهة) .

كستليوف : **(لساتن)** : لقد هرب هذا البراد . . هه هه! . . إنه لا يحبنى .

ساتن : ومن الذى يحبك؟ هذا باستثناء الشيطان بالطبع .

كستليوف : **(متضاحكا)** : أنت ذكى وأنا أحبك وأفهمك . . أيها الأخ التعس المحطم العديم القيمة . . **(فجأة وبسرعة)** هل ڤاسيلى هنا؟

ساتن : ادخل وانظر .

كستليوف : **(يذهب إلى باب ڤاسيلى ويطرقه)** : ڤاسيلى .

(يظهر الممثل على باب المطبخ وهو يمضغ شيئا)

ڤاسيلى : **(من خارج المسرح)** : من بالباب ؟

كستليوف : أنا . . يا ڤاسيلى .

ڤاسيلى : **(وهو بداخل حجرته)** : ماذا تريد ؟

كستليوف : **(يبتعد عن الباب)** : افتح .

ساتن : **(دون أن ينظر إلى كستليوف)** : سيفتح وستجدها بالداخل **(الممثل يضحك)** .

كستليوف : **(مذعورا وبصوت منخفض)** : ما هذا؟ من هى التى بالداخل؟ . . ماذا تعنى؟

ساتن : هل تكلمني؟

كستليوف : ما هذا الذى قلته؟

ساتن : كنت أتحدث إلى نفسى .

كستليوف : احترس أيها الصديق و اعرف متى يجب أن تكف عن فكاهاتك - نعم ، يجب أُ تعرف! **(يطرق باب ڤاسيلى بقوة)** فاسيلى . **(يفتح ڤاسيلى الباب)** .

ڤاسيلى : حسنا؟ ما الذى تبغيه من إزعاجى؟

كستليوف : **(يحاول الدخول إلى الحجرة)** : أنت ترى أن لدىّ -

ڤاسيلى : هل أحضرت النقود؟

كستليوف : هناك مسألة أحب أن أكلمك فيها .

ڤاسيلى : هل أحضرت النقود؟

كستليوف : أى نقود؟ . . انتظر -

ڤاسيلى : النقود - الروبلات السبعة ، بقية ثمن الساعة - هيا

كستليوف : أى ساعة؟ أوه يا ڤاسيلى .

ڤاسيلى : اسمع! بالأمس بعتك ساعة أمام شهود بعشرة روبلات ولم أتسلم منك سوى ثلاثة - والآن أعطنى السبعة الباقية . . لماذا تغمز لى هكذا؟ إنك تأتى هنا تتسكع وتقلق النائمين ، ولكنك لا تعرف ما عليك .

كستليوف : هش! لا تفقد أعصابك يا ڤاسيلى . . الساعة - آه لقد تذكرت ؛ إنها -

ساتن : من البضائع المسروقة . .

كستليوف : **(بحزم)** : أنا لا أشترى بضائع مسروقة . . كيف تقول هذا؟

ڤاسيلى : **(يمسك بكتف كستليوف)** : لماذا أيقظتنى؟ ماذا تريد؟

كستليوف : لا شيء - سأذهب إن كان هذا يرضيك .

ڤاسيلى : اذهب وأحضر النقود .

كستليوف : يا لكم من أشرار ! (يخرج) .

الممثل : كوميديا محبوكة !

ساتن : ورائعة ! إنها تعجبنى .

فاسيلى : ما الذى جاء به إلى هنا؟

ساتن : ألا تفهم؟ إنه يبحث عن زوجته . لماذا لا تقتله يا ڤاسيلى ؟

فاسيلى : إنه همل لا يساوى تضحية حياتى من أجله .

ساتن : فى إمكانك أن تحكم تدبير الأمر . . وعندها تستطيع أن تتزوج ڤاسيليا وتصبح صاحب البيت الذى نسكنه .

فاسيلى : وهل سأبقى المالك طويلا ؟ إنكم بقلوبكم الرحيمة ستبتعلون أملاكى فى حانة وتبتلعوننى أنا أيضا . (يجلس على أحد الفرش) لقد أيقظنى ذلك العجوز المزعج بينما كنت أرى فى نومى حلما جميلا - كنت أصطاد فى مكان ما - فاصطدت سمكة ضخمة ضخامة لا توجد إلا فى الأحلام ، ثم أخذت أسحب السنارة وأنا أخشى أن ينقطع الخيط - وأعددت السلة لأضع فيها هذه السمكة الضخمة .

ساتن : لم تكن هذه سمكة . . إنها فاسيليا .

الممثل : لقد اصطاد فاسيليا من زمن بعيد .

ڤاسيلى : اذهبوا جميعا إلى الجحيم . . أنتم وفاسيليا!

(يدخل كلستش من الردهة) .

كلستش : لعنة الله على هذا البرد .

الممثل : لماذا لم تدخل آنا؟ إنها ستموت من البرد .

كلستش : أخذتها ناتاشا إلى مطبخها .

الممثل : سيلقيها العجوز خارجا .

كلستش : **(يجلس ليتابع عمله)** : لا بأس ، فى هذه الحالة ستعيدها ناتاشا إلى هنا .

ساتن : ڤاسيلى – أعطنى خمسة كوبكات .

الممثل : (لساتن) : خمسة كوبكات! اسمع يا ڤاسيلى – أعطنا ربع روبل .

ڤاسيلى : الأفضل أن أعطيكما اياه بسرعة قبل أن تطلبا روبلا كاملا . هذا هو!

ساتن : يا الله ! ليس هناك من هو أسعد حالا من اللصوص .

كلستش : المال يأتيهم بسهولة دون أن يعملوا .

ساتن : المال يأتى بسهولة لكثير من الناس ، ولكن ليس بحيث يضيعونه بنفس السهولة ، أما العمل ففى

إمكانى أن أقوم به لو كان فيه بعض المتعة . نعم من الممكن أُ أقوم به . . فحينما يكون فى العمل شىء من المتعة تصبح الحياة سعيدة! ولكن حينما يكون واجبا فحسب فإن الحياة تصبح عبودية . **(للممثل)** هيا يا **(ساردانابالس)** (Sardanapalus)

الممثل : هيا يا **(نبوشادنزار)** (Nebuchandnezzar) سأشرب الليلة مقدار ما يشربه أربعة آلاف سكير معا . **(يخرجان)** .

ڤاسيلى : **(متثائبا)** : كيف حال زوجتك ؟

كلستش : **(بعد فترة صمت)** : يبدو أنها ستموت قريبا .

ڤاسيلى : كلما نظرت إليك لم أستطع أن أجد أى فائدة لعملك هذا!

كلستش : وهل فى إمكانى أن أقوم بعمل آخر؟

ڤاسيلى : لا تصنع شيئا .

كلستش : وكيف آكل؟

ڤاسيلى : هناك أناس كثيرون لا يعملون شيئا . . ويعرفون مع ذلك كيف يأكلون .

كلستش : هل تعنى هؤلاء الذين يسكنون هنا؟ . . إنهم ليسوا أناسا - إنهم حثالة أوغاد . . أما أنا فعامل وأشعر

بالخجل حينما أنظر اليهم . . لقد بدأت أعمل منذ كنت صبيا . . هل تظن أنى سأبقى فى هذا المكان؟ - لا - سأخرج زاحفاً من هذا الجحر حتى ولو كان فى ذلك سلخ جلدى . . ولكن انتظر فقط حتى تموت زوجتى - لقد عشت هنا ستة أشهر كانت كست سنوات .

ڤاسيلى : أنت مخطئ فى هذا . . فليس هنا من هو أسوأ منك حالا .

كلستش : ليسوا أسوأ مني! هؤلاء الذين لا شرف لهم ولا ضمير .

ڤاسيلى : **(بغير مبالاة)** : ما قيمة الشرف أو الضمير! إنك لا تستطيع أن تلبسهما فى قدميك بدل الحذاء . . الشرف والضمير مهمان بالنسبة للأقوياء القادرين فقط **(يدخل بوبنوف)** .

بوبنوف : ياه . . انى أرتجف من البرد!

ڤاسيلى : بوبنوف . . هل عندك ضمير؟

بوبنوف : ماذا ؟ ضمير؟

ڤاسيلى : نعم ، هذا ما قلته .

بوبنوف : وماذا أفعل به؟ أنا لست ثريا .

فاسيلى : هذا ما كنت أقوله الآن . . الأغنياء وحدهم هم الذين يحتاجون إلى الشرف والضمير ولكن ها هو ذا كلستش يعيرنا ويقول إننا لا ضمائر لنا .

بوبنوف : ولماذا ؟ هل يريد أن يقترض بعضها .

فاسيلى : لا - إنه يملك الكثير منها .

بوبنوف : (لكلستش) : إذن فأنت تبيعها! لا بأس ولكنك ستقاسى كثيرا حتى تجد مشتريا واحدا هنا . . هناك شيء واحد أرغب فى شرائه . . أوراق اللعب المعلمة - وحتى هذه يجب أن تكون على الحساب .

فاسيلى : (لكلستش) : أنت غبى يا كلستش يجب أن تستمع إلى آراء ساتن أو البارون عن الضمير .

كلستش : ليس هناك ما يدفعنى إلى محادثتهما .

فاسيلى : إنهما أذكى منك بالرغم من سكرهما المتواصل .

بوبنوف : كن سكيرا وذكيا تعش سعيدا .

فاسيلى : يقول ساتن : كل إنسان يريد من جاره أن يكون ذا ضمير ولكنه لا يشترط ذلك فى نفسه- فينتهى الأمر إلى عدم وجود شخص واحد عنده ضمير . وهذا حق .

(تدخل ناتاشا يتبعها لوقا ممسكا فى يده عصا وعلى

ظهره حقيبة ريفية ، ويتدلى من حزام فى وسطه إبريق شاى وكوب) .

لوقا : أسعدتم صباحا أيها القوم الشرفاء .

ڤاسيلى : **(يعبث بشاربه)** : آه . . ناتاشا !

بوبنوف : **(محدثا لوقا)** . شرفاء؟ . لقد كنا كذلك . . أما الآن فهل تراهن على أننا قد نسينا معنى هذه الكلمة؟

ناتاشا : هذا ساكن جديد .

لوقا : هذا يستوى عندى فأنا أحترم حتى المجرمين . . وفى رأيى أن البراغيث كلها سواء ، فهى جميعا سوداء وتجيد القفز . . أين أستطيع أن أمدد جسمى يا عزيزتى ؟

ناتاشا : **(تشير إلى باب المطبخ)** : ادخل هنا أيها الجد .

لوقا : شكرا يا بنيتى . . أينما أردت . . فكل مكان دافئ وطن بالنسبة لرجل عجوز مثلى . **(يخرج)** .

ڤاسيلى : يا له من عجوز ظريف - هذا الذى جئت به يا ناتاشا .

ناتاشا : إنه أظرف منك ، زوجتك بمطبخنا يا كلستش . . تعال خذها بعد قليل .

كلستش : حسنا ، سآتى .

ناتاشا : يجب أن تعاملها برفق يا كلستش فهى لن تعيش طويلا .

كلستش : أعلم هذا .

ناتاشا : تعلم! لا يكفى أن تعلم - يجب أن تفهم؛ أن الموت شىء مخيف .

ڤاسيلى : أنا لا أخاف الموت .

ناتاشا : إذن فأنت شجاع .

بوبنوف : **(يصفر)** : هذا الخيط تالف .

ڤاسيلى : حقا . . أنا لا أخاف الموت وسأرضى به فى أية لحظة . . ا لآن . . خذى خنجرا واطعنينى فى قلبى فأموت دون زفرة أسف واحدة - بل سأموت سعيدا لأن يدا طاهرة هى التى قلتنى .

ناتاشا : **(وهى تستدير للخروج)** : خير لك أن تحاول خداع غيرى .

بوبنوف : (ببطء) حقا هذا الخيط تالف .

ناتاشا : **(وهى خارجة من الباب)** : لا تنس أن تحضر لأخذ زوجتك يا كلستش .

كلستش : لن أنسى .

ڤاسيلى : لماذا هى قاسية معى هكذا؟ . . إنها تهملنى - ولكنها ستفسد هنا لا محالة .

بوبنوف : نعم . . تفسد . . وأنت الذى ستفسدها .

ڤاسيلى : ولماذا أنا؟ أنا أشعر بالأسى من أجلها .

بوبنوف : مثلما يشعر الذئب بالأسى من أجل الحمل .

ڤاسيلى : هذا كذب ، فأنا شديد الأسى من أجلها حقا ، فهى تقاسى هنا كثيرا وهذا واضح .

كلستش : انتظر حتى تضبطك فاسيليا تتحدث معها .

بوبنوف : فاسيليا؟ إنها لا تفرط لأحد فى ممتلكاتها .

ڤاسيلى : **(يستلقى على الفراش)** : لتذهبا إلى الجحيم . . كلاكما . . والأنبياء كذلك .

كلستش : سوف ينتقم الله منك . . انتظر .

لوقا : **(يغنى فى المطبخ)** : فى ظلام الليل لن تستطيع الاهتداء إلى الطريق المستقيم .

كلستش : أنصتوا إلى هذا العواء . . ساكن جديد! هه! **(يخرج إلى الردهة)**

ڤاسيلى : يالله – لقد مللت الحياة كلها . . ما الذى يجعلنى أشعر بالملل؟ إن الإنسان ليعيش أيامه فى حبور . . وفجأة وكمن يصاب بالزكام إذا به قد مل كل شىء .

بوبنوف : ملل؟ هه .

ڤاسيلى : حتى أذنى .

لوقا : **(يغنى فى المطبخ)** : لا يا سيدى لن تستطيع الاهتداء إلى الطريق المستقيم

فاسيلى : أنت أيها الرجل العجوز !

لوقا : **(يطل برأسه من باب المطبخ)** : هل تخاطبنى ؟

فاسيلى : نعم أنت . . كف عن الغناء .

لوقا : **(يدخل)** : ألا تحب الغناء ؟

فاسيلى : أحبه . . حينما يكون جميلا .

لوقا : اذن فغنائى قبيح؟

فاسيلى : يبدو أن الأمر كذلك .

لوقا : تصوروا! كنت أظن أنى أحسن الغناء . . هذا يحدث كثيرا يقول الرجل لنفسه: أنا أقوم بعمل حسن - وفجأة إذا به يجد الجميع غاضبين .

فاسيلى : **(ضاحكا)** : هذا صحيح .

بوبنوف : كنت تقول إنك مللت الحياة ، وهأنت ذا تقهقه .

فاسيلى : وما دخلك أنت فى هذا أيها الغراب المزعج؟

لوقا : من الذى مل الحياة هنا؟

فاسيلى : أنا .

(يدخل البارون) .

لوقا : تصور هذا! هناك فى المطبخ فتاة جالسة تقرأ فى كتاب

وتبكى . نعم تبكى! والدموع تنهمر من عينيها - فسألتها : (**لماذا تبكين يا عزيزتي؟**) أجابتني : (**إنى أشعر بألم شديد من أجله**) فلما سألتها : (**من هو؟**) أجابتنى وهى تنتحب : (**هذا الرجل بطل القصة التى أقرأها**) . بعض الناس يبحثون عن أشياء غريبة يضايقون بها أنفسهم . أليس كذلك؟ ولعل هذا راجع إلى الملل أيضا .

البارون : هذه الفتاة . . إنها بلهاء . .

ڤاسيلى : هل شربت شايا يا بارون؟

البارون : نعم . . هه؟

ڤاسيلى : هل ترغب فى أن أدعوك إلى شرب نصف زجاجة من الخمر؟

البارون : بالتأكيد أرغب . . هه .

ڤاسيلى : لتركع إذن على أربع ولتنبح مثل الكلب .

البارون : أيها المغفل! من أنت؟ تاجر ثرى أم سكير؟

ڤاسيلى : أوه - هيا انبح قليلا . . إن هذا سيسرى عنى فأنت واحد من ذوى الرفعة الأقوياء . . ومر عليك وقت كنت تنظر فيه إلى العامة من أمثالى و كأنهم ليسوا بشرا . . إلى آخر تلك الأمور . .

البارون : وبعد؟

ڤاسيلى : سأجعلك اليوم تنبح كالكلاب . . إنك ستنبح . . أنت تعمل أنك ستفعل .

البارون : حسنا - سأفعل أيها الغبي! ولكن أى نوع من السرور ستخرج به أنت من ذلك - إذا كنت أنا أعلم جيدا أننى أصبحت فى حالة يرثى لها ، إن لم أكن أصبحت أسوأ منك حالا . . كان الأجدر بك أن تحاول جعلى أسير على أربع عندما كنت أرفع منك .

بوبنوف : هذا حق .

لوقا : وحسن أيضا إن أردتم رأيى .

بوبنوف : ما مضى قد انتهى - والذى بقى لا يستحق مجرد الحديث عنه . . فليس لدينا اليوم رجال ذوو رفعة وقوة . . كل شىء قد انتهى . كل شىء . . ولم يبق سوى الإنسان عاريا كما ولدته أمه .

لوقا : ولذلك فالجميع سواء . هل كنت **(بارون)** حقا أيها الصديق؟

البارون : ما هذا ! من أنت أيها الشيطان العجوز؟

لوقا : لقد قابلت أميرا و**(كونت)** أيضا - ولكن هذه هى المرة الأولى التى ألتقى فيها **(ببارون)** . . و**(بارون)** محطم أيضا .

ڤاسيلى : (**يضحك**) : هل تعلم يا بارون أنك جعلتنى أخجل من نفسى ؟

البارون : هذه هى أول مرة تبدى فيها ذكاء يا ڤاسيلى .

لوقا : ها ها مجرد النظر إليكم يا أصدقائى الطيبين يوحى بنوع الحياة التى . .

بوبنوڤ : إننا نستيقظ كل صباح على عواء .

البارون : ولكن كانت لى أيام خير من هذه مرت بى أيام كنت أستيقظ فى الصباح لأشرب القهوة فى السرير . . نعم ، قهوة بالقشدة .

لوقا : ومع ذلك فكلكم بشر . . نعم . . ارتد أفخر الملابس وأغلاها . . واضرب فى الأرض من أقصاها إلى أقصاها – ولكنك فى النهاية ستموت إنسانا كما ولدت إنسانا . . كلما نظرت وجدت الناس يزدادون ذكاء ونشاطا ، ولكنهم يعيشون مع ذلك عيشة بائسة ، ويرجون أن تتحسن أحوالهم . قوم عنيدون!

البارون : من أنت أيها العجوز؟ . . من أين أتيت؟

لوقا : من . . أنا؟

البارون : هل أنت حاج؟

لوقا : كلنا حجاج على هذه الأرض . . بل لقد سمعت من

يزعم أن الأرض نفسها تحج فى هذا الكون . .

البارون : **(جادا)** : قد يكون هذا صحيحا . . ولكن هل معك جواز سفر؟

لوقا : ومن أنت؟ . . بوليس سري؟

ڤاسيلى : **(مسرورا)** : لقد سخر منك العجوز يا بارون؟

بوبنوف : نعم ، هذا ا لسيد رمى فأصاب .

البارون : **(خجلا)** : ما كل هذا؟ كنت أمزح أيها العجوز لا أكثر . . فأنا نفسى ليس لدى جواز سفر- ولا حتى أوراق تثبت شخصيتى .

بوبنوف : كذاب .

البارون : حسنا - لدى أوراق ولكنها قديمة لا فائدة منها .

لوقا : كل ا لأوراق مثل أوراقك . . لا فائدة منها .

ڤاسيلى : هيا بنا يا بارون نشرب شيئا من الخمر .

البارون : هيا بنا - إلى اللقاء أيها العجوز . . إنك مجرم أنت الآخر .

لوقا : كل شىء جائز أيها الصديق .

ڤاسيلى : **(على باب الصالة)** : حسنا - تعال .

(يخرج ڤاسيلى ويسرع البارون خلفه) .

لوقا : هل كان بارونا حقا؟

بوبنوف : لا أعلم . . ولكنه أرستقراطى النشأة لا ريب - فهو حتى الآن يتصرف أحيانا بشىء كثير من العظمة . يبدو أن أرستقراطيته لم تمح تماما .

لوقا : يبدو أن هذه الأرستقراطية كالجدرى . . يشفى المصاب به ولكن تبقى آثاره فى وجهه .

بوبنوف : ولكنه ليس سىء الأخلاق . . وإن كان يتصرف أحيانا ببعض العنجهية مثلما فعل اليوم حين سألك عن جواز سفرك .

(يدخل أليوشكا مخمورا - يحمل (أكورديون) ويصفر وهو يتقدم) .

أليوشكا : أيها السكان -

بوبنوف : لماذا تصيح هكذا ؟

أليوشكا : لا تؤاخذنى . . سامحنى ، أنا رجل مؤدب -

بونبوف : هل تشاجرت مرة ثانية ؟

أليوشكا : وهل أستطيع غير ذلك ؟ منذ دقيقة واحدة طردنى الضابط ميدياكين من قسم البوليس وقال لى : إياك أن تدعنى أعثر لك على أثر فى الطرقات بعد اليوم! . وأنا رجل لى شخصيتى ولكن رئيسى فى العمل يبصق فى وجهى وكأنى قطة ضالة . . وأى

رئيس هو؟ بف . ، إنه سكير ، نعم رئيسى سكير ، وأنا رجل لا أريد شيئا ، نعم أنا لا أريد شيئا . . تستطيع أن ترضينى بروبل وعشرين كوبكا! . . ولكنى لا أريد شيئا . أعطنى مليونا . . تجدنى لا أحتاج إليه . . ولكن أن يسمح لزميلى السكير فى العمل بأن يصدر إلى الأوامر – فهذا ما لا أقبله . . لا أقبله أبدا .

(تظهر ناستيا على باب المطبخ وتهز رأسها وهى تراقب أليوشكا) .

لوقا : **(مازحا)** : لقد أوقعت نفسك فى مأزق أيها الشاب .

بونبوف : مجرد حماقة من حماقات البشر .

أليوشكا : **(يمدد جسمه على الأرض)** : أنا لا أهتم بشىء ولا أريد شيئا . . أنا إنسان محطم ، اشرحوا لى لماذا أنا أسوأ حالا من بقية الناس . ومن هم هؤلاء الناس؟ لقد قال لى الضابط ميدياكين: (**ابتعد عن الشوارع وإلا قتلتك** . .) ولكنى لن أبتعد وسأخرج . سأتمدد فى وسط الشارع . . وليدوسونى إذا شاءوا – فأنا لا أريد شيئا .

ناستيا : يا له من مسكين! . . لا يزال شابا صغيرا ومع ذلك

فقد جعل من نفسه أضحوكة .

أليوشكا : **(يلاحظ ناستيا فيقوم على ركبتيه ويتحدث بالفرنسية)**: يا مدموازيل ، هل تتحدثين بالفرنسية؟ (Parlez Francais) برى فيكس! إنى أدهن المدينة باللون الأحمر . . !

ناستاى : **(بصوت مرتفع)** : فتاسيليسيا **(تفتح فاسيليسيا باب الصالة على مصراعيه وتدخل)** .

ڤاسيليسيا : **(موجهة الحديث إلى أليوشكا)** : أنت هنا مرة أخرى ؟

أليوشكا : أسعدت صباحا . . هلا تفضلت بالدخول؟

ڤاسيليسيا : قلت لك أيها الكلب ألا ترينا وجهك ، ألم أقل لك؟ ومع ذلك فأنت هنا مرة أخرى؟

أليوشكا : ڤاسيليسيا كاربوڤنا - سأعزف لك لحنا جنائزيا . . هل تسمحين؟

ڤاسيليسيا : **(تدفعه فى كتفه)** : اخرج من هنا .

أليوشكا : **(يتحرك أمامها ناحية الباب)** : انتظرى ، هذا لا يصح! . سأعزف لك لحنا جنائزيا تعلمته منذ قليل . موسيقا حديثة . . انتظرى - هذا لا يصح!

ڤاسيليسيا : سأريك ما الذى لا يصح - سأجعل سكان الشارع

كلهم يطاردونك أيها الثرثار القذر . . أنت أصغر من أن تظل تنبح بالحديث عنى فى كل مكان .

أليوشكا : حسنا . . أنا خارج (**يخرج مسرعا**) .

ڤاسيليسيا : لا تسمح له بوضع قدمه هنا مرة ثانية . . أسامع أنت؟

بوبنوف : لست بوابا عندك

ڤاسيليسيا : لا يهمنى من تكون . . إنك تعيش هنا على إحسانى فتذكر ذلك . كم ديونى عليك؟

بوبنوف : (بهدوء) : لم أحصها .

ڤاسيليسيا : حسنا . احترس والا فسوف أحصيها أنا . (**يفتح أليوشكا الباب**)

أليوشكا : (**صائحا**) : ڤاسيليسيا كاربوڤنا! . . أنا لا أخافك . . أنا لا أخافك كما تتصورين (**ينسل إلى داخل المطبخ . لوقا يضحك**) .

ڤاسيليسيا : من أنت ؟

لوقا : حاج .

ڤاسيليسيا : أتريد أن تبيت الليلة فقط أم ستقيم طويلا؟

لوقا : هذا يتوقف على -

ڤاسيليسيا : أين جواز سفرك ؟

لوقا : سترينه .

ڤاسيليسيا : أريد رؤيته الآن .

لوقا : سأحضره لك - سأحضره إلى باب مسكنك .

ڤاسيليسيا : هه ، حاج! لا يبدو عليك أنك حاج . . كان الأجدر بك أن تسمى نفسك متشردا . . فهذا أقرب إلى الواقع .

لوقا : (متنهدا) : قلبك خال من الطيبة أيتها المرأة .

(تتجه ڤاسيليسيا ناحية حجرة ڤاسيلى . يطل أليوشكا برأسه من المطبخ) .

أليوشكا : (هامسا) : هل ذهبت ؟

ڤاسيليا : (تعود إليه) :ألا تزال هنا ؟

(يختفى أليوشكا وهو يصفر . . لوقا وناستيا يضحكان) .

بوبنوف : (لڤاسيليا) : خرج .

ڤاسيليسيا : من هو؟ عمن تتحدث ؟

بوبنوف : ڤاسيلى .

ڤاسيليسيا : وهل سألتك عنه؟

بوبنوف : أراك تبحثين فى كل مكان .

ڤاسيليسيا : أنا أرى أن كل شىء فى مكانه أم لا - فاهم؟ هل

فهمت الآن؟ لماذا لم تكنسوا الأرض حتى هذه الساعة؟ كم مرة أمرتكم بان تحافظوا على نظافة المكان؟

بوبنوف : الدور على الممثل .

ڤاسيليسيا : لا يهمنى ، ولكن إذا جاء مفتش الصحة وغرمنى فسوف أطردكم جميعاً أيها الملاعين .

بوبنوف : (بهدوء) : وكيف ستعيشين اذن؟

ڤاسيليسيا : لا أريد أن أرى بعد الآن ذرة تراب واحدة . . **(تسير ناحية الطبخ وتقف أمام ناستيا)** ماذا تفعلين بوجهك المتورم هنا؟ . . لا تقفى هكذا مثل جذع الشجرة ، اكنسى الأرض ، هل رأيت ناتاشا ، هل جاءت إلى هنا؟

ناستيا : لا أدرى ، لم أرها .

ڤاسيليسيا : بوبنوف . . هل كانت أختى هنا؟

بوبنوف : **(مشيرا إلى لوقا)** : لقد جاءت به . .

ڤاسيليا : والآخر ، هل كان هنا ؟

بوبنوف : ڤاسيلي؟ نعم كان موجودا ، وأختك تحدثت إلى كلستش -

ڤاسيليسيا : لم أسألك عمن تحدثت اليهم . قذارة فى كل مكان

أيها الخنازير! يجب أن تنظفوا هذا المكان . .
أتفهمون؟
(تخرج مسرعة) .

بوبنوف : يا إلهى ! يا لها من امرأة شريرة !

لوقا : امرأة مشتعلة .

ناستيا : كل إنسان يحيا حياتها ، ويعاشر زوجا مثل زوجها يصبح شريرا .

بوبنوف : إنها لا تعاشره كثيرا على أى حال !

لوقا : هل تتصرف هكذا دائما؟

بوبنوف : دائما . . لقد حضرت لترى عشيقها ، ولكنه غير موجود كما ترى .

لوقا : فتألمت . . آه فهمت . هيه! أناس مختلفون يأمرون غيرهم فى هذه الدنيا ، وكل جماعة تحاول أن تنسب إلى غيرها جميع ألوان العيوب - ومع ذلك فلا يوجد نظام فى الحياة . . ولا نظافة .

بوبنوف : كل الناس يريدون النظام - ولكن عقولهم ذاتها غير منظمة - على كل حال يجب أُن يقوم واحد بكنس الأرض . . ناستيا عليك أنت بهذا . .

ناستيا : طبعا ومن غيرى ! . . أنا لست خادمتك هنا . .

(بعد لحظة صمت) سأسكر اليوم . . سأسكر غاية السكر . .

بوبنوب : هذه فكرة طيبة .

لوقا : لماذا تريدين أن تسكرى يا صغيرتي؟ منذ لحظة كنت تبكين – والآن تقولين إنك ستسكرين .

ناستيا : **(بشيء من التحدى)** : وحينما أسكر سأبكى مرة أخرى – هذا كل ما فى الأمر .

لوقا : ولكن خبرينى ما سبب ذلك؟ فحتى الدمل الصغير لا يظهر بدون سبب . **(ناستيا تهز رأسها بدون أن تجيب)** حسنا . . ايه أيها البشر! إلى أين أنتم مسيرون؟ لا . . سأكنس لكم المكان اذن . . أين مكنستكم؟

بوبنوف : خلف الباب فى الردهة الخارجية **(لوقا يذهب إلى الردهة)** ناستيا!

ناستيا : ماذا تريد ؟

بوبنوف : لماذا ثارت فاسيليا على أليوشكا؟

ناستيا : لأنه قال للجميع إن فاسيلى ملها ويريد هجرها من أجل ناتاشا . . سأنتقل من هذا المكان إلى مسكن آخر .

بوبنوف : لماذا؟ وإلى أين؟

ناستيا : لقد مللت . . لا أحد يحتاج إلى هنا . .

بوبنوف : (بهدوء) لا هنا ، ولا فى أى مكان . . وكل الناس فى الواقع لا يوجد من يحتاج إليهم .

(تهز ناستيا رأسها وتنهض خارجة إلى الردهة - يدخل الشرطى مدفديف

(الشرطى وخلفه لوقا حاملا مكنسة .) .

مدفديف : لا أظن أنى أعرفك !

لوقا : وهل تعرف كل الناس ؟

مدفى : المفروض أنى أعرف كل شخص فى منطقتى . . ولكنى لا أعرفك .

لوقا : وذلك لأن الكرة الأرضية لم يمكنها ضغط نفسها داخل منطقتك يا عم . لقد بقى جزء صغير منها خارج منطقتك! **(يذهب إلى المطبخ .)** .

مدفديف : **(سائرا إلى بوبنوف)** : إنه على حق . . فمنطقتى صغيرة ولو أنها أسوأ من أكبر منطقة . . منذ قليل وقبل أن أنتهى من الداورية أخذت الاسكافى أليوشكا إلى القسم - فقد استلقى فى وسط الشارع وأخذ يعزف على **(الأكورديون)** وهو يصيح : (أنا

لا أريد شيئا . . لا أريد شيئا . .) وكان من المحتمل أن تقضى عليه الخيل وغيرها من وسائل النقل ، فقد كان الشـــارع مزدحما بها إنه متوحش . . فقدته إلى القسم لأنه مغرم بالخروج على النظام .

بوبنوف : هل ستأتى للعب الورق الليلة؟

مدفديف : أنا . . نعم . . كيف حال ڤاسيلى ؟

بوبنوف : بخير . كما هو .

بوبنوف : ولم لا؟ . . إنه قادر على ذلك .

مدفديف : (**بشك**) : قادرا (**يدخل لوقا حاملا مكنسة ويخترق الحجرة متجها إلى الردهة**) نعم . . لقد انتشرت شائعات عن ڤاسيلى هنا . . هل سمعتها؟

بوبنوف : أنا أسمع كل أنواع الشائعات .

مدفديف : عنه وعن ڤاسيليا - هل لاحظت شيئا؟

بوبنوف : لاحظت ماذا ؟

مدفديف : على العموم - أم يحتمل أنك تعلم ولكنك تكذب علىَّ . . فالجميع يعلمون . . (**بعنف**) يجب ألا يكذب الإنسان أبدا يا صديقى .

بوبنوف : ولماذا أكذب ؟

مدڤديف : إذن فنحن متفاهمان . . أوه – ذلك القذر! . . إنهم يقولون إن هناك علاقة بينه وبين ڤاسيليسيا – ما شأنى أنا بذلك؟ أنا لست أباها – ولكنى عمها فقط – فلماذا يسخرون منى ؟
(**تدخل كاشنيا**) الله وحده يعلم ماذا يفعل الناس = إنهم يسخرون من كل شىء – آه! هذا أنت!

كڤاشنيا : نعم أنا يا سترتى الرسمية الثمينة! بوبنوف ، لقد عاد فى السوق يغرينى بالزواج منه .

بوبنوف : ولم لا؟ تزوجيه لديه بعض المال ، وهو لا يزال صالحا للقيام بدور العاشق .

مدڤديف : أنا . . هوا هوا

كڤاشنيا : هكذا؟ لا تلمس نقطة الضعف فى أيها الشرطى . . فقد جربت ذلك من قبل يا رجلى العزيز . . إن الزواج مثل القفز فى جحر من الثلج فى زمهرير الشتاء . . تفعله مرة – وتظل تذكره بقية حياتك .

مدڤديف : مهلا – فليس جميع الأزواج سواء .

كڤاشنيا : ولكنى أنا لم أتغير – حينما مات زوجى العزيز – أججمه الله – سررت كل السرور من بقائى وحدى طول النهار ، ولم أستطع أن أصدق حظى السعيد .

مدڤديف : مادام زوجك كان يضربك بدون سبب معقول - كان عليك أن تشكيه للبوليس .

كڤاشنيا : ظللت أشكوه إلى الله ثمانى سنوات دون فائدة .

مدڤديف : ضرب الزوجة ممنوع الآن . فقد صدرت قوانين وأنظمة جديدة لكل شىء . . لا يستطيع إنسان أن يضرب آخر دون سبب معقول . . وإذا حدث واعتديت على إنسان فينبغى أن يكون ذلك للمحافظة على النظام .

(يدخل لوقا يقود آنا)

لوقا : ها نحن وصلنا . . ألا تعلمين أنه لا ينبغى أن تسيرى وحدك وأنت بهذا التكوين الضعيف؟ . . أين فراشك؟

آنا : **(تشير إلى سريرها)** : شكرا لك أيها الجد!

كڤاشنيا : ها هى ذى امرأة متزوجة ، انظر اليها .

لوقا : هذه المرأة الصغيرة فى غاية الضعف . . كانت تسير فى الردهة متشبثة بالجدران وهى تئن . لماذا تتركونها تسير وحدها؟

كڤاشنيا : هذا إهمال منا يا سيدى ، أرجوك أن تسامحنا . . أما وصيفتها فلا بد أنها خرجت للنزهة .

لوقا : إنك تهزئين - إنى لأعجب لماذا يسخر الناس من بعضهم؟ أى شخص مهما ساءت حاله يستحق شيئا من الاحترام .

مدڤديف : نعم ينبغى أن نهتم به . . لأنه إذا مات فستتعقد الأمور . . ينبغى أن نهتم به .

لوقا : لقد نطقت صوابا أيها الشاويش .

مدڤديف : نعم . . ولو أنى لست شاويشا بعد -

لوقا : لست شاويشا بعد! إنك تبدو كبطل من الأبطال .

(ترتفع ضجة ووقع أقدام فى الردهة ، وتسمع أصوات مختلفة وصيحات)

مدڤديف : لابد أنها مشاجرة؟

بوبنوف : يبدو أن الأمر كذلك .

كڤاشنيا : سأرى إذن

مدڤديف : يجب أن أذهب أنا كذلك فالواجب هو الواجب؟ إنى أتمنى حينما يبدأ الناس فى الشجار أن يتركهم من حولهم وشأنهم ، فهم سيكفون عن القتال عندما يتعبون .
يجب أن نتركهم ليصرعوا أنفسهم دون أن نتدخل ، لأنهم يستحقون ذلك . . بعد ذلك سيفكرون أكثر

من مرة قبل أن يتشاجروا ثانية ، لأنهم سيذكرون إصابتهم فى المرة السابقة .

بوبنوف : **(ينهض من سريره)** : يجب أن تقول ذلك لقومندان البوليس .

(يفتح الباب على مصراعيه بعنف ويظهر كستيلوف على العتبة)

كستيلوف : **(صائحا)** : مدفديف . . أسرع فإن ڤاسيليسيا تقتل ناتاشا . . أسرع !

(يسرع مدفديف وبوبنهوف وكفاشتيا إلى الردهة . . لوقا ينظر إليهم هازا رأسه) .

آنا : يارب ! . . مسكينة الصغيرة ناتاشا .

لوقا : من الذى يقتتل فى الخارج ؟

آنا : صاحبة المنزل وشقيقتها .

لوقا : **(يتجه ناحية آنا)** : ولماذا تتشاجران ؟

آنا : وماذا يمكنهما أن تفعلا غير هذا؟ - إنهما تأكلان جيدا وصحتهما جيدة -

لوقا : ما اسمك ؟

آنا : آنا . . هل تعلم أننى حينما أنظر اليك أتذكر والدى فقد كان مثلك طيبا ورقيقا .

لوقا : نعم ، لقد عصرتنى الأيام ولهذا أبدو رقيقا .
(يضحك ضحكة ضعيفة أشبه بالسعال) .

(ستار)

الفصل الثانى

(نفس القبو . . ساتن والبارون ولوز والتترى جالسون على السرير المجارو للفرن يلعبون الورق ، بينما كلستش والممثل يرقبانهم .

بوبنوف جالس على فراشه يلاعب مدفديف الشطرنج ، مدفديف فى حين يجلس لوقا على مقعد صغير بجوار فراش آنا .

الوقت مساء والمكان مضاء بمصباحين أحدهما معلق فى الحائط فوق لاعبى الورق ، والآخر فوق فراش بوبنوف .

التترى : سألعب دورا آخر لا غير . .

بوبنوف : غن يا جويتر (منشدا) الشمس تشرق ثم تغرب -

لوز : (مكملا) : وزنزانتى مظلمة لا تعرف الضوء -

التترى : (لساتن) : اخلط الورق بعناية! فأنا أعرفك جيدا .

بوبنوف ولوز : (ينشدان معا) : والحراس يراقبون نافذتى الحديدية . . إيه . . الحراس يراقبون نافذتى طوال الليل والنهار .

آنا : مشاجرات وألفاظ نابية . هذا هو كل ما عرفته طوال حياتى . . ولا شيء غير هذا . .

لوقا : انسى كل هذا يا سيدتى الطيبة ولا تضايقى نفسك .

مدڤديف : إلى أين أنت ذاهب بهذا العسكري؟ هل أنت أعمى؟

بوبنوڤ : آه! . . آه!

التترى : **(مهددا ساتن بقبضة يده)** : لماذا تحاول إخفاء هذه الورقة؟ . . أنا أراها . . أوه!

لوز : لا تضايق نفسك يا حسن فسوف يستولون على كل ما معنا بطريقة أو بأخرى! غن يا بوبنوڤ .

آنا : لا أتذكر يوما لم أشعر فيه بالجوع . . كان على دائما أن أحصى اللقيمات - وظللت طوال حياتى أرتعد وأضطرب لمجرد احتمال أن أكون أكلت أكثر من نصيبى . . لم ألبس فى حياتى كلها سوى أسمال بالية . . حياتى التعسة البائسة : ماذا فعلت حتى أستحق كل هذا؟

لوقا : أنك محطمة يا بنيتى المسكينة . هونى عليك .

الممثل : (للوز) : ارم الجوكر . . الجوكر يا غبى .

البارون : والشايب معنا .

كلستش : إنهم يغلبونك دائما .

ساتن : إنها عاداتنا .

مدڤديڤ : شايب !

بوبنوف : لا بأس .. معى آخر ..

آنا : أنا أموت الآن .

كلستش : أوه .. أوه .. كف عن اللعب يا حسن . خذ نقودا منى وكف عن اللعب .

الممثل : لا يستطيع أن يتصرف بدون نصائحك ، أليس كذلك؟

البارون : احترس يا كلستش ، وإلا قذفت بك إلى الجحيم !

التترى : وزع الورق مرة أخرى . جئت أصطاد ولكنى وقعت فى الشرك!

(يذهب كلستش إلى بوبنوف وهو يهز رأسه) .

آنا : أظل أفكر إذا كان الله سيعذبنى فى الآخرة أيضا؟ .. حتى هناك يارب !

لوقا : لن يعذبك .. . لا تخافى لن يحدث لك شيء ، ستجدين هناك قسطا كافيا من الراحة .. فقط اصبرى وتحملى قليلا .. فكل إنسان يستطيع ان يتحمل حياته بطريقته الخاصة .

(ينهض ويسير مسرعا نحو المطبخ) .

بوبنوف : **(يغنى)** : أنتم أيها الحراس تستطيعون مراقبة نافذتى عن قرب .

لوز : **(يغنى مكملا)** : فلن أحاول الهرب .

بوبنوف ولوز : **(معا)** : فأنا وإن كنت أحب أن أنال حريتى . . ايه ، ولكنى لا أقوى على تحطيم أغلالى .

التترى : **(صائحا)** : آه . . أنا أراك ، لقد أخفيت ورقة فى كمك . .

البارون : **(مضطربا)** : وأين تريدنى أن أخفيها . . تحت أنفك؟

الممثل : أنت مخطئ يا تترى - فليس هنا من يحاول الغش . . أبدا .

التترى : يا وغد . . لقد رأيتها . . ولن أستمر فى اللعب .

ساتن : **(يجمع الورق)** : ابتعد عنا أيها التترى . . ألم تكن تعلم أننا أوغاد؟ فلماذا اشتركت معنا فى اللعب؟

البارون : خسرت ربع روبل ولكنك أزعجتنا بما يساوى ثلاثة روبلات . . آه .

التترى : **(متحمسا)** : يجب أن تلعبوا بأمانة .

ساتن : لماذا ؟

التترى : ماذا تعنى ؟

ساتن : لا أعنى إلا ما قلته . . لماذا يجب أن نلعب بأمانة؟

التترى : ألا تعلم لماذا ؟

ساتن : أنا . . لا . . هل تعلم أنت ؟

(يبصق التترى باحتقار شديد بينما يضحك الآخرون منه) .

لوز : (مازحا) : يا لك من إنسان مضحك يا تترى . . ألا تفهم أنهم لو بدأوا يعيشون بشرف وأمانة فسيموتون من الجوع بعد ثلاثة أيام .

التترى : ليس هذا من شأنى . . يجب على الناس أن يكونوا أمناء .

لوز : ها هو ذا يعود ثانية . . مثل الببغاء . . يحسن بنا أن نذهب لتناول الشاى يا بوبنوف! **(مغنيا)** ايه أيتها الأغلال . . أيتها الأغلال الثقيلة التى تقيدنى -

بوبنوف : **(يغنى)** : أنت فى الواقع حارسى الحديدى .

لوز : هيا بنا يا تترى **(يخرج وقد عاد إلى الغناء)** أنا أعلم أنى لن أستطيع تحطيمك أبدا أيتها الأغلال . . إيه .

(يلوح التترى بقبضته للبارون ثم يتبع صديقه) .

ساتن : **(للبارون)** : كنت الليلة فى غاية الغباء يا صاحب السعادة . . إنك متعلم ومع ذلك لا تعرف كيف تتقن الغش فى لعب الورق .

البارون : **(يتمطى)** : الشيطان وحده يعلم لماذا فشلت .

الممثل : لأنك تنقصك الموهبة والثقة بالنفس . . فبدونهما لا يستطيع الإنسان فعل أى شىء .

مدڤديڤ : بقى لدى حصان واحد . . وأنت معك اثنان . . هيه!

بوبنوڤ : إن واحدا يكفى إذا كان ماهرا وذكيا . . دورك .

كلستش : خسرت يا مدڤديڤ .

مدڤديڤ : لا تتدخل فيما لا يعنيك . . أتفهم؟ أمسك لسانك .

ساتن : صافى المكسب ثلاثة وخمسون كوبك .

الممثل : ثلاثة من نصيبى . . ومع ذلك فماذا سأفعل بها؟

(يدخل لوقا من المطبخ)

لوقا : حسنا - لقد سلبتم التترى كل نقوده . . وستذهبون الآن لشرب بعض الفودكا على ما أظن .

البارون : تعال معنا .

ساتن : أحب أن أرى أى نوع من الرجال أنت حينما تسكر .

لوقا : لا أكون خيرا منى وأنا فى وعيى .

الممثل : تعال أيها الجد أنشد لك بعض القصائد .

لوقا : ماذا تعنى؟

الممثل : قصائد . . ألا تعرف القصائد ؟

لوقا : آه ، قصائد . . وما حاجتى إلى الشعر ؟

الممثل : إنه يضحك الانسان . . و أحياناً يحزنه .

ساتن : هل ستأتى أيها الراوية؟ **(يخرج ساتن والبارون)** .

الممثل : لحظة واحدة . . سألحق بكما . . هاك أيها الجد بعض الشعر . . لقد نسيت كيف يبدأ . . لقد نسيت **(يحك جبهته)** .

بوبنوف : هاك! . . وداعا لمليكك . **(كش)** . .

مدڤديف : يا للشيطان لقد أخطأت فى اللعبة السابقة .

الممثل : كانت ذاكرة قوية فى الماضى قبل أن يتسمم جسمى بالكحول أيها العجوز . . أما الآن فقد انتهيت . . انتهيت . . كنت ألقى هذه المقطوعة إلقاء رائعا حتى أن الجمهور يصفق بحماسة تكاد تهدم المسرح . . أنت لا تعرف التصفيق . . إنه كالفودكا يا صديقى . . كنت أدخل المسرح ثم أقف هكذا **(يتخذ وضعا تمثيليا)** نعم كنت أقف هكذا **(فترة صمت طويلة)** لا أستطيع أن أتذكر شيئا - ولا كلمة واحدة! مع أنها أحب قصيدة إلى نفسى - هذا سيئ أيها العجوز . أليس كذلك؟

لوقا : بالطبع . . فلا يمكن أن يكون نسيإنك لما تحبه شيئا جميلا . . فكل أرواحنا مركزة فيما نحبه .

الممثل : أغرقت روحى فى الخمر أيها العجوز . . لقد ضعت . . ولماذا؟ لأنه لا ثقة لى فى نفسى . . انتهيت . .

لوقا : انتهيت؟ لماذا؟ . . يجب أن تعالج نفسك . . لقد سمعت أنهم يعالجون مدمنى الخمر هذه الأيام ، ويعالجونهم مجانا أيضا . . فهناك مستشفى خاص بمدمنى الخمر يعالجون فيه دون مقابل . . لقد اهتدوا أخيرا إلى أن السكير إنسان كبقية الناس – بل إنهم يسرون حينما يجدونه راغبا فى الشفاء . . إنها فرصة أمامك فلا تتركها . اذهب إلى هناك فورا .

الممثل : **(مفكرا)** : أذهب إلى أين؟ . . أين هذا المستشفى؟

لوقا : فى إحدى المدن . . ترى ما اسمها؟ إنها تسمى . . لا بأس سأعطيك اسمها فيما بعد! وفى هذه الأثناء عليك أن تعد نفسك للعلاج . . ابتعد عن الفودكا . . تماسك واحتمل! وبعد ذلك ستشفى وتبدأ حياتك من جديد . . نعم من جديد . أليس هذا بديعا يا صديقى ؟ . . حسنا ، استقر على رأى وبسرعة!

الممثل : **(مبتسما)** : من جديد .. من البداية .. ما أروع ذلك .. نعم ، نعم مرة ثانية **(يضحك)** طبعا فى إمكانى أن أفعل ذلك بكل تأكيد .. ألا ترى أنت أنى أستطيع؟

لوقا : نعم بلا شك – ففى إمكان الإنسان أن يفعل أى شىء – فقط إذا أراد وصمم على تنفيذه .

الممثل : **(كمن استيقظ فجأة)** : أنت إنسان غريب .. إلى اللقاء **(يصفر)** إلى اللقاء أيها العجوز . **(يخرج)**

آنا : أيها الجد !

لوقا : ماذا تريدين يا عزيزتى ؟

آنا : تحدث إلى .

لوقا : **(يقترب منها)** : حسنا لنتحدث .

(ينظر كلستش حوله ويسير متجها غلى زوجته ويحدق فيها ، ثم يحرك يديه كمن يريد أن يقول شيئا) ماذا دهاك يا صديقى؟

كلستش : **(فى صوت خافت)** : لا شىء . **(يسير ببطء نحو الردهة ويتوقف لحظات لدى الباب ثم يخرج)** .

لوقا : **(بعد أن تتبع كلستش بعينيه)** : إن زوجك يجد الأمر صعبا لا يستطيع احتماله .

آنا : أنا أفكر فى أشياء أخرى غيره .

لوقا : هل كان يضربك ؟

آنا : وبعد كل هذا لم يكن يضربني! إنه هو الذى أمرضنى على ما أظن .

بوبنوف : كان لزوجتى عشيق . . وكان المجرم بارعا فى لعبة الشطرنج .

مدفديف : هيه - هم .

آنا : تحدث اليى أيها الجد العزيز . . إنى أشعر بألم .

لوقا : لا عليك - إنه ألم ما قبل الموت يا عزيزتى . . لا بأس - لا تفقدى الأمل - ستموتين وعندها ستجدين الأمن والراحة . . فلن يكون فى العالم الآخر شىء تخافينه . . لا شىء على الإطلاق . ستجدين هناك السلام والهدوء . . لن تجدى ما تفعلينه سوى النوم والراحة . . فالموت يهدئ كل شىء . . إنه رفيق بنا نحن البشر . . حينما تموتين ستحصلين على الراحة . . هكذا يقول الناس ، وهو قول صحيح يا عزيزتى ، وإلا فأين يمكن للإنسان أن يجد الراحة فى هذا العالم؟

(يدخل ڤاسيلى مخمورا بعض الشىء وعليه

الاضطراب والعبوس . يجلس على سرير خشبى قريب من الباب ويبقى ساكنا لا يتحرك) .

آنا : ولكن هل كتب علينا أن نقاسى ونتعذب هناك أيضا ؟

لوقا : لن يكون هناك شىء من هذا ، لا شىء . . صدقينى . . لن تجدى هناك غير السلام والهدوء . . سوف يطلبونك للمثول أمام الله قائلين : **(يارب - هذه عبدتك المطيعة آنا)**

مدفديف : **(بحدة)** : ومن أين لك علم ما سيقال هناك ؟ **(ينتبه فاسيلى على صوت مدفديف فيرع رأسه وينصت) .**

لوقا : لا بد أنى أعلم يا سيدى الشاويش .

مدفديف : **(باستسلام)** : هذا شأنك على كل حال ، ولو أنى لم أصبح شاويشا بعد .

بوبنوف : ضاع فيلك .

مدفديف : فليذهب إلى الجحيم .

لوقا : حينئذ ينظر الله إليك برفق وحنان ويقول : (أنا أعرف آنا هذه . . حسنا - خذوها إلى الجنة وامنحوها الراحة والأمن - فأنا أعلم أنها قاست

حياة مريرة مضنية ، وأنها متعبة . . امنحوها الراحة والسكينة) .

آنا : (**تتنهد**) : آه يا جدى العزيز - لو كان الأمر حقا كما تقول! لو كان فى إمكانى أن أستريح ولا أعود أشعر بشىء .

لوقا : لن تشعرى بشىء . . أنا أقول ذلك ويجب أن تصدقينى . يجب أن تموتى فرحة مستبشرة بدون أن يساورك أدنى خوف ، فالموت رفيق بنا رفق الأم بأطفالنا الصغار .

آنا : ولكن أليس من الممكن أن تتحسن صحتى ؟

لوقا : (**بشىء من السخرية**) : ولماذا؟ أتريدين مزيدًا من الآلام؟

آنا : أريد أن أعيش مدة أخرى قصيرة . . مدة قصيرة لا غير ، فإذا لم يكن فى العالم الآخر آلام فانى أستطيع أن أتحمل الآلام هنا - نعم أستطيع .

لوقا : لن يكون هناك شىء سوى -

ڤاسيلى : (**يقوم**) : هذا حق . ومن يعلم ؟ فقد يكون باطلا .

آنا : (**بصوت مذعور**) : آه يا رب .

لوقا : مرحبا بك أيها الأنيق .

مدڤديف : من الذى يصيح ؟

ڤاسيلى : (**يتجه إليه**) أنا . . لماذا ؟

مدڤديف : ليس هناك أى داع لصياحك . هذا هو السبب . ويجب على كل فرد أن يتصرف فى هدوء .

ڤاسيلى : أيها الغبى . . أتعتبر نفسك عما حقيقة . . ها ها !

لوقا : (**مخاطبا ڤاسيلى فى صوت منخفض**) : أنت هناك . . لا تصح هكذا ، فهنا امرأة تموت أكاد ألمح تراب القبر يعلو شفتيها . . دعوها وشأنها .

ڤاسيلى : يسعدنى أن أطيعك أيها الجد ، فأنت شخص لطيف . . بارع فى قص أكاذيب وأساطير طريفة ، وهذا حسن فى رأيى . . استمر فى كذبك فليس فى هذا العالم الملعون سوى القليل جدا من السرور .

بوبنوف : هل هى تموت حقا؟

لوقا : لا يبدو عليها أنها تمزح .

بوبنوف : حسنا . فسنرتاح من سعالها الذى ظل يزعجنا طويلا . . أعطنى ورقتين .

مدڤديف : إن حظك عال اليوم !

ڤاسيلى : أبراهام .

مدڤديف : لا ترفع الكلفة بيننا وتنادينى بهذا الاسم .

ڤاسيلى : حسنا . أبراشكا . . هل ناتاشا مريضة ؟

مدڤديف : ليس هذا من شأنك .

ڤاسيلى : تكلم - خبرنى هل ضربتها ڤاسيليسيا بقسوة؟

مدڤديف : وهذا أيضا ليس من شأنك . إنها مسألة عائلية .
ومن أنت على أية حال؟

ڤاسيلى : لا يهم من أكون ولكنى أستطيع إذا أردت أن
أجعلك لا ترى ناتاشا بعد اليوم .

مدڤديف : (**يكف عن اللعب**) : ما هذا؟ أتعلم عمن
تتحدث . . إن ابنة أخى لا يمكن أن تصبح . .
. . يا لص .

ڤاسيلى : قد أكون لصا ، ولكنك لم تقبض على أبدا .

مدڤديف : انتظر وسوف أقبض عليك . . وقريبا .

ڤاسيلى : إذا قبضت على فسيكون فى ذلك خراب أسرتك
كلها . . هل تظن أنى سأظل صامتا أمام المحقق؟ .
إنك كمن ينتظر حسنة من الذئب . . من الذى
حرضنى على السرقة؟ ومن الذى عرفنى بالأماكن؟
كوستليوڤ وزوجته . . من الذى كان يأخذ منى
ما أسرقه؟ ميشكا كوستليوڤ وزوجته .

مدڤديف : كذاب . . لن يصدقك أحد .

ڤاسيلى : سوف يصدقوننى . . فهذه هى الحقيقة ، وسوف أقحمك أنت أيضا فى الموضوع . . هاها . . سوف أدمركم جميعا أيها المجرمون . . سوف ترى .

مدڤديف : **(مأخوذا)** : أنت تكذب . هذا كذب محض . . ومتى تسببت فى أذى لك . . أنت كلب مسعور ينبح .

ڤاسيلى : ومتى تسببت فى خير لى؟

لوقا : أها -

مدڤديف : **(مخاطبا لوقا)** : علام تنعق أيها العجوز . . ليس فى هذا ما يخصك . . إنها مسألة عائلية .

بوبنوف : **(مخاطبا لوقا)** : اتركهم وشأنهم . إنهم لا يعدون المشانق لك ولى .

لوقا : **(بخبث)** : أنا أعلم ذلك . . كل ما أقوله هو أن الإنسان متى لم يحسن لأخيه فقد أساء اليه .

مدڤديف : **(بدون أن يفهم ما يعنيه لوقا)** : هذا أحسن . . نحن هنا يعرف بعضنا بعضا . . فمن أنت؟ **(يبصق كقطة هائجة ثم ينصرف مسرعا)** .

لوقا : لقد فقد السيد أعصابه . . ها ها . . أيها الأصدقاء لقد أوقعتم أنفسكم فى شتى أنواع المشاكل .

ڤاسيلى : ذهب يشكو إلى ڤاسيليا . يا

بوبنوف : إنك تقوم بدور الأبله يا ڤاسيلى . . فيم تباهيك بالقوة والشجاعة . . ان الشجاعة لها قيمتها فى الغابات حينما تصطاد الخرتيت . . أما هنا فليس لها قيمة تذكر ، وسوف يشنقونك قريبا .

ڤاسيلى : أوه . . لا . . فأنا من قوم لا يستسلمون دون قتال ، أما إذا حدث قتال فأنا على أتم استعداد له .

لوقا : لماذا لا ترحل من هنا أيها الشاب ؟

ڤاسيلى : إلى أين ؟ هل تستطيع أن ترشدني؟

لوقا : اذهب إلى سيبريا ؟

ڤاسيلى : سيبريا؟ . . ولكنى سأنتظر حتى أرسل إلى هناك على نفقة الحكومة .

لوقا : اسمع كلامى واذهب إلى سيبريا ، فهناك ستتفتح أمامك آفاق جديدة ، لأنهم هناك فى حاجة إلى أمثالك من الرجال .

ڤاسيلى : لا أملك حرية الاختيار . لقد رسمت لى حياتى وانتهى الأمر ، فأبى قضى حياته كلها فى السجون ، وعلمنى أن أكون مثله . ولم أكن إلا طفلا صغيرا عندما كان الجميع ينادوننى يا لص يا بن اللص .

لوقا : ومع ذلك فسيبريا مكان رائع . . أرض طيبة . .

وهى أصلح مكان للرجل القوى الذى يحمل فوق أكتافه رأسا ذكيا .

ڤاسيلى : لماذا تكذب أيها العجوز ؟

لوقا : ماذا تقول ؟

ڤاسيلى : أصابه الصمم فجأة . أقول لماذا تكذب ؟

لوقا : ومتى رأيتنى أكذب ؟

ڤاسيلى : دائما فأنت تردد فى كل وقت (**إنه رائع هنا . وبديع هناك**) فى حين تعلم جيدا أنك تكذب . . لماذا ؟

لوقا : فليكن . . اسمع كلامى ، ثم اذهب لتتحقق منه بنفسك . وسوف تشكرنى على نصيحتى لك . أى خير فى إصرارك على الإقامة هنا؟
وعلى كل حال فما قيمة الحقيقة بالنسبة اليك؟ هذه الحقيقة قد تهوى على رأسك كالفأس الحاد .

ڤاسيلى : أنا لا أبالى . بل أرحب بضربة الفأس .

لوقا : يا لك من إنسان غريب . . ما الذى يدفعك إلى قتل نفسك؟

بوبنوف : أنا لا أفهم فيم كل هذا الحديث السخيف . أى حقيقة تلك التى تريدها يا ڤاسيلي؟ ولماذا؟ أنت تعرف حقيقة نفسك وكل واحد يعرفها .

ڤاسيلى : اسكت يا بوبنوڤ لا تنعق . أريده هو أن يخبرنى . .
اسمع أيها العجوز ، هل الله موجود؟

لوقا : **(يبتسم ولا يجيب)** .

بوبنوڤ : ما أشبه الناس فى الحياة بنشارة الخشب الطافية فوق النهر . . لقد تم بناء المنزل أما النشارة فتلقى فى النهر لتهتم بنفسها وتلاقى مصيرها .

ڤاسيلى : وبعد ، **(هل الله موجود؟ أجبنى)** .

لوقا : **(فى صوت منخفض)** : إذا كنت تؤمن به فهو موجودُ وإذا لم تكن تؤمن به فهو غير موجود . .
وكذلك كل ما تؤمن به فهو موجود .

(ڤاسيلى يحدق فى وجه لوقا فى حيرة بدون أن يتكلم) .

بوبنوڤ : سأذهب لتناول الشاى ، تعال معى .

لوقا : لماذا تحدق فىّ هكذا ؟

ڤاسيلى : حسن . . انتظر . . أنت تقول . .

بوبنوڤ : سأذهب وحدى إذن **(يسير فى اتجاه الباب بينما تدخل ڤاسيليا)**.

ڤاسيلى : إذن فأنت تريد أُن تقول -

ڤاسيليسيا : **(تخاطب بوبنوڤ)** : هل ناستيا موجودة ؟

بوبنوف : لا . (**تخرج**) .

ڤاسيلى : أوه . . هذا أنت .

ڤاسيليسيا : (**تتجه نحو آنا**) : ألا تزالين حية ؟

لوقا : لا تزعجيها .

ڤاسيليسيا : ألا تزال هنا ؟

لوقا : سأرحل إذا كان هذا يرضيك .

ڤاسيليسيا : (**تسير ناحية حجرة ڤاسيلى**) : ڤاسيلى أريد أن أحدثك فى بعض المسائل (**تدخل حجرة ڤاسيلى فى حين يسير لوقا إلى باب الصالة ويفتحه ثم يغلقه بصوت مسموع ، ويعود بحذر ويتسلق فراشا ليصل إلى أعلى الفرن**) تعال يا ڤاسيلى .

ڤاسيلى : لا أريد .

ڤاسيليسيا : (**تخرج**) : ولماذا لا تريد؟ . . من الذى أغضبك منى؟

ڤاسيلى : لقد مللت . . مللت كل هذه الأشياء .

ڤاسيليسيا : مللتنى أيضا؟

ڤاسيلى : نعم أنت أيضا (**تثبت منديلها الحريرى على كتفيها وتضغط بيديها على صدرها ثم تسير إلى فراش آنا وتنظر فى هدوء خلف الستائر ، ثم تعود إلى ڤاسيلى**)

فإذا كان لديك ما تريدين أن تقوليه .

فاسيليسيا : وهل بقى شىء يقال؟ . . ليس فى إمكان المرء أن يرغم إنسانا على حبه ، وليس من طبيعتى أن أتسول الإحسان من الناس . . أشكرك على مصارحتى بالحقيقة .

فاسيلى : أى حقيقة؟

فاسيليسيا : أنك مللتنى ، أم أن ذلك غير صحيح؟ **(يحدق فاسيلى فيها بدون أن يتكلم . . تقترب هى منه)** لماذا تحدق فى هكذا؟ ألا تعرفني؟

فاسيلى : **(يتنهد)** : ما أجمل منظرك **(تضع فاسيليا يدها حول عنقه ولكنه يتخلص منها بهزة من كتفه)** ولكنك مع ذلك لم تنجحى أبدا فى الوصول إلى قلبى . . لقد عاشرتك بالطريقة التى تعرفينها ولكننى لم أهتم بك أبدا اهتماما حقيقيا -

فاسيليسيا : **(بصوت خافت)** : فهمت - وبعد ؟

فاسيلى : وبعد - لم يبق شىء نقوله - لا شىء على الإطلاق ، فقط اتركينى

فاسيليسيا : هل وقعت فى غرام جديد ؟

فاسيلى : ليس هذا من شأنك . . وإذا كنت قد أحببت حقا

فلن أطلب منك أن تقومى بدور الوسيط .

فاسيليسيا : **(متخابثة)** : يا خسارة . . قد يكون فى امكانى أن أصلك بمحبوتك .

فاسيلى : **(بشك)** : من تعنين ؟

فاسيليسيا : أنت أدرى – لماذا تنكر؟ . . اسمع يا فاسيلى أنا إنسانة صريحة – **(بصوت خافت ضعيف)** ولن أخفى عنك شيئا فقد آلمتنى كثيرا . . فبدون أى سبب ضربتنى هذه الضربة القاصمة فكان لها فى نفسى وقع السياط . . ظللت تحدثنى عن حبك ثم فجأة –

فاسيلى : لم يكن فجأة . . كنت أحس ذلك من زمن بعيد . . أنت امرأة بدون روح يا فاسيليا ، والمرأة يجب أن يكون لها روح . . إننا معشر الرجال وحوش كاسرة ويجب على المرأة أن تروضنا وتستأنسنا . . خبرينى بالله أى نوع من الترويض مارسته معى ؟

فاسيليسيا : ما فات قد فات . . أنا أعلم أننا لا نستطيع السيطرة على عواطفنا . . فإذا كنت لم تعد تحبنى ، فليكن ، ولنواجه الأمر .

فاسيلى : حسنا . . هذا هو الواقع . . فليمض كل منا فى طريقه بهدوء وبدون أى شوشرة ، فهذا أفضل حل .

فاسيليسيا : لا . . انتظر . . ليس هذا كل ما فى الأمر . . فحينما كنت أعاشرك كنت أعتمد عليك دائما فى الخلاص من هذا الشرك الذى أحيا فيه . . فأتحرر من زوجى ، ومن عمى ، ومن هذه الحياة كلها . . من المحتمل أنى لم أحبك أنت ، وإنما كنت أحب فيك هذا الأمل ، هذا الخاطر الذى كان يلح على فكرى . أتفهم؟! كنت أنتظر منك أن تخرجنى من هنا .

فاسيلى : أنت لست ظفرا ، وأنا لست مقصا حتى أستطيع فصلك من هذا المكان ، وإذا كنت ظننت نفسى كذلك فى وقت ما فمن خلال تفكيرك أنت وبتأثير إيحائك . . إنك فطنة وذكية . . أليس كذلك؟

فاسيليسيا : **(تنحنى مقتربة منه)** : فاسيلى ، لم لا نتعاون ؟

فاسيلى : كيف ؟

فاسيليسيا : **(بهدوء وقوة)** : أنا أعلم أنك تحب أختى .

فاسيلى : ومن أجل هذا تقسين عليها وتواصلين ضربها وايذاءها . . احترسى يا فاسيليسيا وكفى عن ايذائها .

فاسيليا : تمهل ولا تثر هكذا ، فى إمكاننا أن نسوى الأمر فى هدوء وبطريقة ودية . . أنت تريد الزواج من ناتاشا؟ حسنا تزوجها . . بل إنى سأعطيك بعض

المال كذلك - لنقل ثلاثمائة روبل . . وحينما يتجمع لدى بعض المال أعطيك زيادة .

فاسيلى : **(يبتعد عنها)** انتظرى - لماذا تعطيننى هذا المال؟ . . ما هى الفكرة؟

فاسيليسيا : خلصنى من زوجى - انتزع هذا الغل من رقبتى .

فاسيلى : **(يصفر صفيرا خافتا)** : هذه هى المسألة إذن . . فهمت الآن . . يالك من ماهرة ، الزوج فى أكفانه تحت التراب ، والعاشق ينفى إلى سيبريا ، أما أنت نفسك .

فاسيليسيا : لا يا فاسيلى . . لماذا تنفى إلى سيبيريا؟ ليس من الضرورى أن تنفذ الأمر بنفسك ، تستطيع أن تستأجر آخرين . . وحتى إذا فعلتها أنت فمن الذى سيعلم؟ . . فكر فى ناتاشا وفى المبلغ الذى ستحصل عليه . . تستطيع أن تذهب إلى مكان بعيد بعد أن تكون حررتنى بقية حياتى . . أما أختى فمن مصلحتها أن تبتعد عنى كذلك . . فمن العسير على أن أراها أمامى لأنى أشعر بالألم والمرارة كلما رأيتها ، وذلك بسببك أنت ، وأنا لا أستطيع كبح جماح نفسى . إنى أعذبها وأضربها ، أضربها ضربا

شديدا حتى لأبكى أنا نفسى رثاء لها ، ولكنى أستمر فى ضربها مع ذلك . وسأظل أضربها . .

فاسيلى : أنت شيطان مريد . . تقولين ذلك وكأنك تفخرين .

ڤاسيلسيا : أنا لا أفخر - أنا اقول الحقيقة . . فكر يا فاسيلى . . لقد سجنت مرتين بسبب زوجى ، بسبب جشعه . . إنه يمتص دمائى مثل البق الشره . . إنه يفعل ذلك منذ أربع سنوات . . أى زوج هذا؟ ثم إنه يعامل ناتاشا بقسوة لا مثيل لها ويعذبها ، ويسميها بالمتسولة . . إنه سم موضوع فى شراب الجميع .

فاسيلى : وراء هذا الكلام هدفا بارعا كل البراعة .

ڤاسيليسيا : قصدى واضح لا يفوت فهمه إلا على غبى .

(يدخل كستيلوف حذرا ويتقدم متلصصا)

فاسيلى : **(لڤاسيليا)** : من الأفضل أن تذهبى الآن .

ڤاسيليسيا : فكر فى الأمر **(وقد لاحظت زوجها)** ما الذى جاء بك إلى هنا؟ . . تبحث عنى؟

(يقفز فاسيلى واقفا وينظر إلى كستيلوف بخشونة)

كستليوف : أنا . . نعم أنا . . وأنتما وحيدان هنا؟ آه كنتما تتحدثان؟ **(تعثر قدمه فجأة ويسقط على ڤاسيليا)** أيها الأقذار . **(ينظر إليه ڤاسيلى وڤاسيليسيا بدون أن**

يتحركا فيبدو عليه الخوف) فليسامحنى الله كدت تدفعيننى إلى الشك مرة أخرى يا ڤاسيليا! بحثت عنك فى كل مكان **(يعثر مرة أخرى)** أما حان وقت النوم؟ . . وأنت قد نسيت وضع الزيت فى المصباح أيتها اللعينة البائسة . **(يهدد ڤاسيليسيا بيديه المرتعشتين ڤاسيليا تتجه ببطء نحو باب الردهة وهى تنظر خلفها إلى ڤاسيلى)** .

ڤاسيلى : **(لكستليوف)** : أخرج من هنا!

كستليوف : **(صائحا)** : أنا صاحب هذا المكان اخرج أنت أيها اللص!

ڤاسيلى : (بهدوء) : اخرج يا كستليوف!

كستليوف : أتجرؤ ! إنى سا . . سا **(يمسك ڤاسيلى بكستليوف من ياقة سترته ويهزه . . يسمع شخير عال وتثاؤب مثل نهيق الحيوانات آت من أعلى الفرن . . يطلق ڤاسيلى سراح كستليوف الذى يجرى إلى الردهة صائحا)** .

ڤاسيلى : **(يقفز فوق السرير الخشبي)** : من فوق الفرن؟

لوقا : **(يطل)** : ماذا ؟

ڤاسيلى : هذا أنت ؟

لوقا : (فى هدوء) : نعم أنا . . ولا أحد غيرى . . يا الله !!

فاسيلى : **(يغلق باب الصالة ويبحث عن المزلاج فلا يجده) :**
آه الملاعين!
انزل أيها العجوز .

لوقا : سأنزل حالا . (**ينزل**) .

فاسيلى : (**بخشونة**) : لماذا صعدت إلى أعلى الفرن؟

لوقا : وهل كان يجب على أن أكون فى مكان آخر؟

فاسيلى : ولكنك خرجت إلى الردهة .

لوقا : برودتها لا يتحملها عجوز مثلى .

فاسيلى : وهل سمعت ؟

لوقا : نعم . . وهل كان فى إمكانى أن أمنع نفسى من السمع؟ إنى لست أصم . آه أنت محظوظ يا بنى . . غنك محظوظ!

فاسيلى : (**بشك**) : وكيف ؟

لوقا : لأنى صعدت فوق الفرن .

فاسيلى : ولماذا أخذت تصدر هذا الشخير المزعج من فوق ؟

لوقا : لأنى تضايقت من الحر . . وكان ذلك من حسن حظك يا بنى ، قدرت أنك قد تخطىء وتضغط على رقبة العجوز حتى تقتله .

ڤاسيلى : نعم . . كان ذلك ممكنا ، فأنا أكرهه .

لوقا : لا شىء أسهل من ذلك . . فى وسع أى إنسان أن يفعله . . وكثيرا ما يقع الناس فى هذا الخطأ .

ڤاسيلى : (يبتسم) : أليس من المحتمل أن تكون أنت قد وقعت فيه مرة؟

لوقا : استمع يا بنى إلى ما سأقوله لك . . يجب أن تبتعد عن هذه المرأة ولا تدعها تقترب منك أبدا . . إنها ستعرف كيف تودى بزوجها إلى القبر دون معونتك . . وستفعله خيرا منك بكثير . . صدقنى يا بنى ، لا تستمع إلى هذه اللعينة . انظر إلى رأسى . . ألا تراه قد أصبح أصلع؟ لماذا؟ إنه بسبب أمثال هذه المرأة . . لقد عرفت منهن عددا يفوق عدد شعر رأسى . . وهذه المرأة ڤاسيليسيا امرأة شريرة . . وحوش الغابات أرحم منها .

ڤاسيلى : لا أفهم ، هل المفروض أن أشكرك . . أم أنك لست إلا

لوقا : لا تقل شيئا ، فلن تستطيع أن تضيف إلى ما قلته شيئا ذا بال . . خير لك أن تستمع إلى – أيا كانت هذه الفتاة التى تحبها هنا ، خذها من ذراعها وارحلا

من هذا المكان . . ابتعد من هنا بأسرع ما تستطيع!

فاسيلى : **(برزانة)** : لا أستطيع تقسيم الناس إلى طيبين وأشرار . . أنا لا أفهم شيئا .

لوقا : وهل هناك ما يستحق الفهم؟ كل إنسان يستطيع أن يحيا حسبما يملى عليه قلبه . اليوم يدفعه قلبه إلى طريق الخير ، وغدا إلى الخسة والنذالة . فاذا كانت هذه الفتاة قد مست شغاف قلبك حقا ، فخذها واهرب . . هذا كل ما فى الأمر . . كما أنك تستطيع أن ترحل وحدك لأنك لا تزال صغيرا وأمامك الوقت الكافى للعثور على امرأة مناسبة تستقر معها .

فاسيلى : **(يمسك بكتفى لوقا)** : هل تستطيع أن تخبرنى ماذا تستفيد أنت من كل هذا؟

لوقا : انتظر . . دعنى لأرى آنا فقد كانت أنفاسها تضطرب **(يسير إلى فراش آنا ويرفع الستار ثم ينظر إليها ويلمسها بيده بينما يراقبه فاسيلى بانتباه وحيرة)** يارب يا أرحم الراحمين تقبل بلطفك روح عبدتك الراحلة آنا .

فاسيلى : **(بصوت هادئ)** : ماتت؟ **(يمدد جسمه بدون أن**

يتحرك من مكانه ويحدق فى الفراش) .

لوقا : (بهدوء) : انتهى عذابها . . أين زوجها ؟

ڤاسيلى : الغالب أنه فى الحانة .

لوقا : لابد أن أذهب لأخبره .

ڤاسيلى : (يهز كتفيه) : أنا لا أحب الأموات .

لوقا : **(ذاهبا إلى الردهة)** : وماذا بقى فيهم لنحبهم من أجله؟ الأحياء هم الذين يستحقون الحب . . نعم الأحياء .

ڤاسيلى : سآتى معك .

لوقا : أنت خائف ؟

ڤاسيلى : أنا لا أحب – **(يسرعان إلى الخارج . . المكان خال وهادئ . . بعد قليل تسمع ضجة غير واضحة ولا منسجمة آتية من ناحية الردهة ، ثم يدخل الممثل)** .

الممثل : **(يقف عند المدخل ويترك الباب مفتوحا ويمسك به بكلتا يديه ويصيح)** : هيه أيها العجوز! أين أنت؟ . . لقد تذكرتها . . اسمع **(يتقدم خطوتين مترنحا ويتخذ وضعا مسرحيا ثم يبدأ فى الإلقاء)** .

(إذا كان العالم يا رفاقى ، عاجزا عن الاهتداء إلى طريق العدل والحق ، فلنكرم إذن ذلك المجنون الذى

ينسج أحلاما ذهبية ليمنح البشرية نهاية سعيدة)
(**تظهر ناتاشا بالباب خلف الممثل**) أيها العجوز ،
اسمع : (وإذا نسيت الشمس غدا أن تضىء الطريق
الأبدى لكوكبنا ، فستبزغ فى الحال فكرة لمجنون من
المجانين تضىء الأرض المظلمة .) .

ناتاشا : (**ضاحكة**) : أيها المعتوه! كنت تسكر بالخارج ؟

الممثل : (**يواجه ناتاشا**) : آه! هذا أنت؟ . . أين العجوز؟ . .
العجوز العزيز الضئيل؟ يبدو أنه لا أحد هنا . .
لا بأس . الوداع يا ناتاشا . نعم . الوداع!

ناتاشا : (**تخطو إلى الأمام**) : إنك لم تكد تقل مساء الخير . .
والآن تقول الوداع .

الممثل : (**يقف فى طريقها**) : سأترك هذا المكان . .
سأرحل . . سيأتى الربيع ولكنى لن أكون هنا .

ناتاشا : دعنى أمر . . إلى أين ستذهب ؟

الممثل : سأذهب للبحث عن إحدى المدن حيث أعالج . .
يجب أن ترحلى أنت أيضا يا (**أوفيليا**) لتدخلى
الدير . . فى هذه المدينة مصحة لعلاج مدمنى
الخمر ، مصحة فخمة مصنوعة كلها من المرمر حتى
الأرضية . . الحجرات نظيفة ومضاءة . . والطعام

وكل شيء هناك مجانا! . . ولا تنسى أن الأراضى مرمرية أيضا! . . سأعثر على هذه المصحة وسأشفى ، وسأعود مرة ثانية إلى التمثيل (**أنا فى طريقى لأولد من جديد**) كما قال الملك لير . لا أحد يعلم أن اسمى المسرحى هو شفرشكوف زافولسكى لا أحد يعلم هذا ، فأنا هنا بدون اسم . . هل تستطعين تصور مدى الألم الذى يعانيه الإنسان من فقد اسمه؟ . . فحتى الكلاب لها أسماء . . **(تتحرك ناتاشا بهدوء حول الممثل وتقف عند فراش آنا وتنظر)** إن من فقد اسمه فقد نفسه .

ناتاشا : انظر إنها ميتة!

الممثل : **(يهز رأسه)** : مستحيل !

ناتاشا : **(تتقهقر إلى الوراء)** : حقا . . انظر .

(يظهر بوبنوف بالباب) .

بوبنوف : إلى أى شيء؟

ناتاشا : ماتت آنا .

بوبنوف : هذا معناه انتهاء سعالها المزعج **(يسير إلى فراش آنا وينظر إليها ثم يذهب إلى فراشه)** يجب إخبار كلستش فهذا شأنه .

الممثل : اذهب لإخباره . . لقد فقدت اسمها! **(يخرج)**

ناتاشا : **(واقفة فى وسط الحجرة)** : سيأتى يوم أنتهى فيه هذه النهاية فى قبو دون أن يفكر أحد فى .

بوبنوف : **(وهو يبسط بعض الملابس الممزقة على فراشه)** : ماذا؟ ما هذه الغمغمة؟

ناتاشا : لا شيء . . كنت أكلم نفسى . .

بوبنوف : هل تنتظرين ڤاسيلى ؟ . . احترسى فسوف يكسر لك رقبتك!

ناتاشا : إنها ستكسر ستكسر ، فلا يهم من الذى يكسرها . . بل لعلى أفضل أن يكون هو الذى يكسرها .

بوبنوف : **(يستلقى على فراشه)** : حسنا . . هذا شأنك أنت .

ناتاشا : من الخير أنها ماتت . . ولكنى لا أستطيع أن أمنع نفسى من الرثاء لحالها . . يارب ، لماذا عاشت هذه المخلوقة؟

بوبنوف : هذا مصيرنا جميعا . . فالإنسان يولد ثم يعيش بعض الوقت ثم يموت . . أنا سأموت وكذلك أنت ، فليس هناك ما يستوجب الحزن .

(يدخل لوقا والتترى وكلستش . كلستش يسير خلف الآخرين متباطئا مقوس الظهر) .

ناتاشا : هش . . آنا

لوز : نعلم فليرح الله روحها إذا كانت قد ماتت .

التترى : (لكلستش) : يجب أن تخرجها من هنا! اسحبها إلى الردهة فليس هنا مكان الأموات . . هنا سينام الأحياء بعد قليل .

كلستش : **(فى صوت منخفض)** : سأخرجها .

(يسير الجميع نحو الفراش . . يحدث كلستش فى زوجته من فوق أكتاف الآخرين) .

التترى : أتظن أنها ستحدث رائحة كريهة ؟ أنا لا أظن لأن لحمها جف لديها أثناء حياتها .

ناتاشا : يارب ما من أحد يشعر بالحزن عليها . . أو يتفوه بكلمة واحدة طيبة ، ياللعار!

لوقا : لا تفكرى بهذه الطريقة يا فتاتى . . فهم على حق . . كيف نشعر بالحزن على ميت ؟ . . إننا يا فتاتى لا نشعر بالحزن من أجل الأحياء . . ولاحتى من أجل أنفسنا . . فماذا تنتظرين غير هذا؟

بوبنوف : **(يتثاءب)** : وشىء آخر ، الميت لا يتأثر بكلماتنا . أما المريض فيتأثر .

التترى : **(يسير إلى الخارج)** : يجب أن أستدعى البوليس .

لوز : البوليس .. هل أخبرت البوليس يا كلستش؟

كلستش : لا .. يجب أن أدفنها وكل ما أملكه هو أربعين كوبك .

لوز : إذن يجب أن تقترض .. أو قد نستطيع أن نجمع لك بعض المال ، خمسة كوبكات من هذا ، وأى مبلغ يسمح به ذلك . و لكن يجب أن تخبر البوليس حالا والا اعتقدوا أنك قتلتها أو أى شىء آخر .
(يسير إلى فراشه ويستعد للنوم بجوار التتري) .

ناتاشا : **(تسير نحو فراش بوبنوف)** : سأظل أحلم بها لأنى أرى الأموات دائما أثناء نومى .. أخاف أن تعود وحيدة . فالردهة مظلمة .

لوقا : **(يتبعها)** : خذيها عنى : أن تخافى من الأحياء .. الأحياء .. لا الأموات ..

ناتاشا : تعال معى إلى الباب أيها الجد .

لوقا : لا مانع هيا بنا . يخرجان : **(فترة من الصمت)** .

لوز : أوه ، هاها .. يا تترى لقد اقترب الربيع يا صديقى ، وسوف تدفأ الدنيا من جديد! أخذ الفلاحون يعدون محاريهم وجراراتهم لحرث الأرض .. ونحن يا حسن ماذا سنفعل؟

بوينوف : التريون يحبون النوم .

كلستش : **(يقف فى وسط الغرفة ويحدث فى الفضاء بغباء)** : وماذا أفعل الآن؟

لوز : استلق على ظهرك ونم . . هذا كل شىء .

كلستش : **(بصوت خافت)** : وماذا عنها؟ **(لا يجيبه أحد . . يدخل ساتن والممثل .)** .

الممثل : **(يصيح)** : أيها العجوز . . تعال هنا يا صديقى المخلص .

ساتن : انظروا . . انظروا إلى المكتشف العظيم! ها ها !

الممثل : لقد أعددت كل شيء! أين المدينة أيها العجوز؟ أين أنت؟

ساتن : يا له من سراب! خدعك العجوز فليس هناك شىء . لا مدينة ولا ناس . . لا شيء!

الممثل : أنت تكذب .

التترى : **(يقفز من فراشه)** : أين صاحب هذا المنزل؟ سأذهب اليه فأنا لا أستطيع النوم . . لن أدفع الإيجار بعد اليوم . . أموات . . و . . وسكارى . **(يندفع خارجا ويتبعه ساتن بصفير)** .

بوبنوف **(بصوت ناعس)** : هيا إلى فراشكم يا أصدقاء . .

وكفوا عن الضجيج . . فالمفترض أن الناس تنام بالليل .

الممثل : أوه ، نعم توجد هنا جثة ميت . . **(أبى ، أبى هل سمعت؟ لقد صادت شباكنا جثة! . .)** . . هذا من شعر شكسبير .

ساتن **(يصيح)** : الجثث لا تسمع ! الجثث لا تشعر! صيحوا! اصرخوا - فالجثث لا تسمع!

(يظهر لوقا بالباب) .

(ستار)

الفصل الثالث

أرض فضاء ، تناثرت فى أنحائها مواد قديمة مهملة ، وكستها الأعشاب البرية . فى المؤخرة حائط من الطوب الأحمر يعترض السماء ، وقد نمت إلى جواره بعض الشجيرات . ويظهر على اليمين جدار خشبى داكن اللون هو جانب من حظيرة . على اليسار حائط رمادى به ترميمات . هذا الحائط جزء من منزل كستليوف وهو يمتد بزاوية إلى منتصف المسرح تقريبا . وبينه وبين الحائط الأحمر ممر ضيق . توجد فى الحائط الرمادى نافذتان احداهما فى مستوى الأرض والأخرى يبلغ ارتفاعها خمسة أقدام ، وهى قريبة من الممر بحذاء هذا الحائط توجد عربة ثلجية من الطراز الريفى مقلوبة و كتلة خشبية طولها حوالى عشرة أقدام . . وبجوار الجدار الأيمن كومة من الدعائم والألواح الخشبية القديمة .

الوقت مستهل الربيع وقد ذابت الثلوج . . ولم تزهر أغصان الشجيرات بعد . . الشمس الغاربة تضفى وهجها على الحائط الأحمر .

ناتاشا وناستيا جالستان جنبا إلى جنب على

الكتلة الخشبية . لوقا والبارون جالسان على العربة المقلوبة . . كلستش مستلق على كومة من الأخشاب القديمة . يظهر رأس بوبنوف من النافذة المنخفضة .

ناستيا **(تتحدث وكأنها تغنى ، مغمضة العينين ورأسها يتحرك فى إيقاع متسق مع كلماتها)** : وفى ليلة من الليإلى جاء إلى الحديقة ، إلى الشجرة التى تواعدنا عندها . . و كنت أنا هناك أنتظره من زمن طويل ، وأرتعد خوفا . وكان هو أيضا يرتعد من قمة رأسه إلى قدمه ، وكان وجهه أبيض كالطباشير وفى يده مسدس .

ناتاشا **(تتسلى بتكسير بذور حبات عباد الشمس)** : تصوري! يبدو أن ما يقال عن حالات اليأس التى تتملك الطلبة صحيح . .

ناسيتا : وقال لى فى صوت متهدج **(ياحياتى)** يا حبيبتى الغالية .

بوبنوف : ها ها ! غالية ؟!

البارون : لحظة واحدة إذا لم يكن هذا الحديث يعجبك فلا تنصت – ولكن لا تفسد كذبة متقنة . استمرى .

ناسيتا : ثم قال لى : يا معبودتى إن والدى يرفض الموافقة على

زواجى منك ، ويهدد بلعنتى إلى الأبد من أجل حبى لك . وهكذا فلم يبق أمامى سوى إنهاء حياتى . وكان المسدس كبيرا فى يده وبه عشر رصاصات كاملة . ثم قال : (وداعا يا حبيبتى ، فلن يغير رأيى أى شيء ، فأنا لا أقوى على الحياة بدونك أبدا!) فأجبته يا حبيبى الذى لن أنساه أبدا . يا مارسيل .

بوبنوف **(بدهشة)** : مورسيل؟ ما هذا ؟ أهو شىء يؤكل؟

البارون **(ضاحكا)** : ولكن اسمعى يا ناسيتا . . ألم يكن اسمه فى المرة السابقة جاستون!؟

ناستيا **(تهب واقفة)** : اسكتوا أيها التعساء! . . أنتم كلاب ضالة! فكيف يمكنكم أن تفهموا الحب؟ . . الحب الحقيقى ؟ أما أنا فقد جربته **(للبارون)** وأنت أيها البائس المسكين! تزعم أنك متعلم؟ وكنت تشرب القهوة بالقشدة فى الفراش -

لوقا : مهلا يا رفاق! لا تقاطعوها احترموا الفتاة ودعوها تسلك طريقها . . فليس المهم ما يقال ، وانما المهم هو لماذا يقال ، وأنت يا فتاتى لا تبإلى بهم ، واستمرى فى قصتك .

بوبنوف : نعم . . غير ريشك أيها الغراب .

البارون : حسنا استمرى .

ناتاشا : ومن يكون هؤلاء حتى تهتمى بهم؟ إنهم لا يقولون هذا إلا حسدا فليس لديهم ما يقصونه عن أنفسهم .

ناستيا **(تعود إلى مجلسها)** : لا أريد أن أتحدث أكثر من هذا - لا ، لن أفعل . ماداموا لا يصدقوننى ويسخرون منى - **(تكف عن الحديث فجأة وتصمت لحظات قليلة ، ثم تغلق عينيها مرة أخرى وتعود إلى قصتها فى صوت دافئ مرتفع محركة يديها حركات متسقة مع إيقاع كلامها ، وكأنها تنصت إلى موسيقا آتية من بعيد)** فقلت له : يا فرحة عمرى! يا نجمى الساطع! إن حياتى فى هذا العالم بعدك مستحيلة . فأنا أحبك بجنون ، وسأظل أحبك ما خفق قلبى بين ضلوعى . . ولكن يجب عليك ألا تدمر شبابك الغض ، أبق عليه من أجل والديك فأنت سعادتهما الوحيدة - انسنى ودعنى أقاسى وحدى آلام فقدك . . فأنا وحيدة فى الحياة . . وهل لأمثالى أحد؟ فلأمت أنا ، فلست أبالى بموتى الآن! أنا لا أصلح لشىء ، وليس لى شىء - **(تدفن وجهها بين كفيها وتبكى فى صمت)** .

ناتاشا (تبتعد عن ناستيا وتتحدث بصوت منخفض) : لا تبكى . . لا تبكي! (لوقا يربت على رأس ناستيا وهو يبتسم) .

بوبنوف (ينفجر ضاحكا) : أيتها المعتوهة !

البارون (ضاحكا) : أيها الجد هل تصدق ما قالته؟ . . لقد اقتبسته كله من كتاب (الغرام القاتل) . . إنه مجرد هذر فلا تشغل نفسك بأمرها .

ناتاشا : وما دخلك أنت فى الأمر؟ اذا لم يكن لك قلب يحس فلا أقل من أن تمسك لسانك .

ناستيا (بعنف) : أنت أيها الملحد الفارغ! أين ذهبت روحك؟

لوقا ممسكا ناستيا من ذراعها) : تعالى يا عزيزتى . هدئى من روعك ولا تبإلى بهم . أنا فاهم . . وأصدقك . كلامك هو الصادق لا كلامهم . . إذا كنت تعتقدين إنك أحببت حبا حقيقيا ، فلقد أحببت لا شك . . أحببت بالتأكيد . . لا تغضبى من البارون ربما كان ضحكه مصدره الحسد لا غير . . فلعله لم يعرف فى حياته كلها شيئا حقيقيا صادقا . . تعالى .

ناستيا (تضغط بيديها على صدرها) : بشرفى هذا صحيح ،

لقد حدث هذا كله فعلا يا جدى . . لقد كان طالبا ، طالبا فرنسيا اسمه (**جاستون**) وكانت له لحية صغيرة سوداء ، وكان يرتدى حذاء جلديا برقبة . ليلعننى الله إذا لم يكن هذا حقا . . وكان يحبنى أخلص الحب .

لوقا : أنا فاهم . أنا أصدقك . . تقولين إنه كان يرتدى حذاء برقبة؟ يا إلهى ! وكنت أنت تحبينه أيضا؟ (**يخرجان من الممر**) .

البارون : ان هذه الفتاة غبية - نعم هى طيبة ، ولكنها غبية غباء لا يحتمل .

بوبنوف : ما الذى يغرى الناس بالكذب كأنهم دائما أمام محقق يمطرهم بالتهم -

ناتاشا : يبدو أن الأكاذيب أجمل من الحقيقة بكثير . أنا أيضا -

البارون : حسنا ، أكملى .

ناتاشا : أنا أيضا أحب أن أتخيل أشياء . أتخيلها ثم أنتظر .

البارون : تنتظرين ماذا ؟

ناتاشا (**تبتسم مرتبكة**) : أوه ، لا أدرى . أحيانا أفكر أن الغد قد يأتى بشخص . . شخص مختلف كل الاختلاف عمن حولى ، وأن شيئا قد يحدث لم يحدث من قبل . أنتظر وأنتظر . . أنا فى حالة انتظار

داثم . . ولكنى اتساءل ، ما هذا الذى انتظره؟

البارون (ساخرا) : لا شىء يستدعى الانتظار . أنا لا أتوقع أى شىء ، فكل شىء حدث فعلا . كل شىء انتهى! أكملى حديثك .

ناتاشا : وأحيانا أخرى يخيل إلى أنى غدا . . سأموت فجأة . هذه الفكرة تعطينى احساسا غريبا أقشعر له . . والصيف وقت مناسب لتخيل الموت . . فهو كثير الصواعق ، وما أسهل أن تقضى احداها على الإنسان !

البارون : إن حياتك قاسية لا ريب . . فأختك شيطان مريد .

ناتاشا : وهل هناك من يحيا حياة سعيدة؟ لا أحد . **(أنا أرى هذا حولى)** .

كلستش **(يهب واقفا فجأة بعد أن كان ساكنا غير عابئ بشىء)** : لا أحد؟ هذا كذب! يوجد بعض السعداء! . . لو كان الجميع يقاسون ، لهان الأمر ، ولما شعر أحد بظلم الحياة له .

بوبنوف : ماذا بك؟ . . أركبك الشيطان؟ . . لماذا تنبح هكذا؟ هوه!

(كلستش يستلقى على كوم الأخشاب كما كان ، ويغمغم بينه وبين نفسه) .

البارون : أظن أنه يستحسن أن أذهب وأصالح ناستيا . . وإلا فلن تقدم لى أى شراب .

بوبنوف : هيه - الناس جميعا يحبون الكذب . . أما ناستيا فأنا أفهم لماذا تكذب ، لقد تعودت أن تطلى وجهها بالمساحيق وهى تريد طلاء روحها كذلكُ تريد صبغها **(بالروج)** . ولكن لماذا يكذب بقية الناس؟ فهذا لوقا يكذب بإسراف ولا يكسب شيئا من كذبه . . ثم إنه رجل عجوز ، فلماذا يكذب؟

البارون **(يبتعد مبتسما)** : أرواح الآدميين كلها رمادية تافهة ، وهم جميعا يريدون صبغها **(بالروج)** .

لوقا **(يعود من ناحية الممر)** : اسمع يا صديقى ، لماذا تضايق الفتاة؟ يجب أن تتركها وشأنها . دعها تسرى عن نفسها بالبكاء وأنت تعلم أنها تجد متعة فى البكاء . . فما الذى يضايقك فى هذا؟

البارون : الموضوع كله سخيف . . لقد مللته . اليوم **(مارسيل)** وغدا **(جاستون)** ، وكل يوم نفس القصة لا تتغير! على كل حال أنا ذاهب لأصالحها **(يخرج)** .

لوقا : اذهب وكن رفيقا بها . . فلن يؤذيك أبدا رفقك بإنسان .

ناتاشا : أنت رجل طيب أيها الجد ، ما الذى يجعلك هكذا؟

لوقا : تقولين طيب ؟ لا بأس إذا كان زعمك صحيحا .

(يسمع من وراء الحائط الأحمر غناء لطيفا يصاحبه عزف على الأكورديون)

يجب أن يكون بعض الناس طيبين يا فتاتى ، يجب أن نشعر بالحزن من أجل الآخرين . . كان المسيح يشعر بالحزن من أجل الناس جميعا ، وأمرنا أن نكون مثله . . صدقينى إن احساسك بالحزن من أجل إنسان فى اللحظة المناسبة يفيده كثيرا . . هاك حادثة وقعت لى تؤيد هذا . فى وقت من الأوقات كنت حارسا لمنزل ريفى يملكه أحد المهندسين فى سيبريا بالقرب من مدينة (**تومسك**) ، وكان المنزل وحيدا وسط الغابة وليس بجواره مساكن أخرى . وكان الوقت شتاء ، وكنت وحدى فى المنزل وكنت سعيدا . . وذات يوم سمعت أصواتا بالقرب من إحدى النوافذ .

ناتاشا : لصوص ؟

لوقا : تماما . . وكانوا يحاولون كسر النافذة ، فأخذت بندقيتى وخرجت ونظرت فإذا برجلين يحاولان فتح

النافذة . كانا منهمكين فى عملهما حتى أنهما لم يشعرا بى ، فصحت فيهما : (هيه أنتما . . ابتعدا من هنا!) فما الذى فعلاه؟ لقد استدارا واندفعا نحوى بفأس فأنذرتهما قائلا : **(ابتعدا وإلا أطلقت عليكما النار)** . وصوبت البندقية نحوهما ، فما كان منهما الا أن ركعا وتوسلا إلى أن أتركهما ، ولكنى فى ذلك الوقت كنت حانقا عليهما بسبب الفأس ، فقلت لهما : **(أيها الشيطانان . . إنكما لم تبتعدا حينما طلبت منكما ذلك ، أما الآن فليكسر أحدكما أغصانا من هذه الشجرة ، فلما تم ذلك قلت: (فلينبطح أحدكما على الأرض وليضربه الآخر بالأغصان .**) وهكذا ضرب كل منهما الآخر تنفيذا لأوامرى ولما تم ذلك قالا لي : **(أيها الجد أعطنا بعض الخبز رحمة بنا ، فقد كنا نتجول وأمعاؤنا خاوية)** هؤلاء هم اللصوص يا عزيزتى **(يضحك)** وكان معهما فأس أيضا! كان الاثنان شخصين طريفين . فقلت لهما : (يا شيطانان لماذا لم تطلبا الخبز من أول الأمر؟) فأجابانى : (لقد مللنا السؤال . ظللنا نسأل الناس بدون أن نحظى منهم

بشيء على الإطلاق . . وهذا شيء يؤلم النفس أمر الألم . .) وهكذا أقاما معى الشتاء كله . وكان أحدهما و يدعى ستبان) . يأخذ البندقية أحيانا ويخرج إلى الغابة ليصطاد ، ويمضى فيها عدة أيام . . أما الآخر ويدعى (ياكوف) فكان معتل الصحة دائم السعال . . وظللنا نحرس المنزل الريفى سويا حتى جاء الربيع فقالا لى : (الوداع أيها الجد) ورحلا آخذين طريقهما إلى روسيا .

ناتاشا : هل كانا هاربين من السجن؟

لوقا : نعم ، كانا هاربين من معسكر اعتقال . مخلوقان لطيفان! لو لم أشعر أنا بالحزن من أجلهما فى الوقت المناسب لقتلانى أو لحدث شيء من هذا القبيل . ثم يحاكمان ويرسلان إلى السجن أو إلى المنفى فى سيبيريا . أى حكمة فى هذا؟ ان السجن لا يعلم الإنسان فعل الخير ، ولا حتى سيبيريا ، أما الإنسان فإنه يستطيع أن يعلم أخاه الإنسان فعل الخير- صدقونى !

بوبنوف : نعم! ولكننى لا أعرف كيف أكذب . . ثم ما فائدة الكذب؟ إن ما أقصده أن على الإنسان أن يقول الحقيقة كما هى دون أن يخجل منها أيا كانت .

كلستش (**يهب واقفا مرة ثانية كمن اشتعلت فيه النار ويصيح**) : أى حقيقة؟ أين الحقيقة؟ لا عمل . ولا قوة . . ولا مكان أعيش فيه . كل ما بقى لى هو أن أموت كالكلب! أليست هذه هى الحقيقة؟ يارب رحمتك! . . ما قيمة الحقيقة بالنسبة الى . . أنى أريد أن أتنفس بحرية أكثر . . هذا هو كل ما أريده أى ذنب جنيته؟ وما قيمة هذه الحقيقة التى تتشدقون بها؟ ليست لدى فرصة للحياة يارب يا قادر . . ليست هناك أى فرصة . . هذه هى الحقيقة !

بوبنوف : إيه . . لقد أصيب فى عقله بلا شك .

لوقا : يارب . . اسمع يا صديقى يجب عليك أن –

كلستش (**يهتز منفعلا**) : أنت تظل تردد الحقيقة . . الحقيقة! أيها العجوز إنك تظل تهدئ الجميع . . حسنا أنا أكرهكم جميعا . . وهذه حقيقة أخرى – فإلى الجحيم بها . . أتفهمون؟ . . إلى الجحيم (**يخرج مندفعا من ناحية الممر وينظر خلفه قبل أن يختفى**) .

لوقا : يا إلهى! إنه مرتبك ارتباكا شديدا! ترى إلى أين ذاهب؟

ناتاشا : لقد تصرف الآن كمن أصيب بخبل مفاجئ .

بوبنوف : انى أسميه ا ستعراضا ظريفا . . تماما كما يحدث على المسرح . ولو أن هذا يتكرر كثيرا . إن الرجل لم يتعود على احتمال الحياة بعد .

(يدخل ڤاسيلى متباطئا من ناحية الممر) .

ڤاسيلى : السلام عليكم أيها القوم الشرفاء! ألا تزال أيها العجوز المحتال تقص حكاياتك؟

لوقا : كان يجب أن تكون حاضرا منذ قليل . . فقد فاتك أن ترى رجلا يصرخ حتى كاد يمزق رئتيه .

ڤاسيلى : من؟ كلستش؟ . . ترى ما الذى أصابه؟ لقد رأيته يجرى وكأن النار اشتعلت فيه .

لوقا : وكيف لا يجرى والنار تشتعل فى قلبه ؟

ڤاسيلى : أنا لا أحبه . فهو دائما حزين ومتكبر **(يقلد كلستش)** **(أنا عامل)** . . وهو يحاول أن يقنعك بأنه أرفع من الجميع . . ليشتغل عاملا إذا أراد – ولكن ما وجه الفخر فى ذلك؟ . إننا لو حكمنا على الناس بأعمالهم لكان الحصان أفضل من أى انسان ، فأنت تركبه وتقوده كيفما شئت دون أن ينبس ببنت شفة . . هل أهلك بالمنزل يا ناتاشا؟

ناتاشا : ذهبوا إلى المدافن – وقالوا إنهم سيحضرون الاجتماع المسائى بعد ذلك .

فاسيلى : كنت أفكر فى سبب وجودك هكذا لا تؤدين أى عمل ، إنه منظر نادر .

لوقا **(محدثا بوبنوف وقد بدت على ملامحه علامات التفكير)** : كنت تقول إننا فى حاجة إلى الحقيقة ، ولكن الحقيقة يا بوبنوف ليست دائما العلاج لآلام الناس ، فأنت لا تستطيع دائما أن تشفى الأرواح بالحقيقة . خذ هذه الحالة مثلا . . كنت أعرف رجلا يؤمن بوجود أرض ، كل ما فيها حق وعدل .

بوبنوف : يؤمن بماذا ؟

لوقا : يؤمن بأرض الحقيقة والعدل . وكان يؤكد أن هذه الأرض لابد أن تكون موجودة فى مكان ما فى هذا العالم . وكان يقول إن سكان هذه الأرض نوع خاص من البشر الممتازين ، يحترم بعضهم البعض ، ويساعد بعضهم البعض ، وكل ما يفعلونه جميل وخير . . وهكذا كان هذا الرجل يفكر كل يوم فى السفر للبحث عن أرض الحق والعدل هذه . . كان فقيرا معدما يقاسى الأمرين فى حياته ، ولكنه حينما تتعقد الأمور كان على استعداد للاستلقاء على ظهره . . ليموت دون أن يفقد شجاعته بل كان

يبتسم دائما ويقول: (**سأتحمل وسأنتظر قليلا ، ثم سأهجر هذه الحياة وأذهب إلى أرض الحق والعدل**) . . كان الحلم بهذه الأرض هو سعادته الوحيدة فى الحياة .

فاسيلى : وهل ذهب حقا؟

بوبنوف : أين؟ هاها !

لوقا : ثم حضر إلى هذا المكان - وكان ذلك فى سيبريا - عالم نفته الحكومة ، وكان يحمل معه كثيرا من الكتب والخرائط ونحوها . . فقال له صاحبنا: (**هل تصنع فى معروفا وتدلنى على مكان أرض الحق والعدل وطريق الوصول إليها؟**) ففتح العالم كتبه واستشار خرائطه . . بحث هنا . . وبحث هناك ، فلم يجد أرض الحق والعدليلا هنا ولا هناك . . كل شىء فى مكإنه وكل البلاد والأراضى واضحة فى أماكنها . . أما أرض الحقيقة والعدل فلا وجود لها .

فاسيلى (**فى صوت خفيض**) : لا وجود لها؟ . . حقا؟ (**بوبنوف يضحك**) .

ناتاشا : لا تقاطع . استمر أيها الجد .

لوقا : فلم يصدقه صاحبنا وقال له: (**لابد أنها موجودة ،**

حقق النظر مرة ثانية . . وإلا فكتبك وخرائطك لا قيمة لها إذا ما فشلت فى إرشادنا إلى أرض الحقيقة والعدل) . فغضب العالم لهذا الحديث وقال : (إن خرائطى أدق خرائط فى العالم ، أما أرض الحقيقة والعدل فلا وجود لها فى أى مكان) . فغضب صاحبنا هو الآخر وقال محتدا : (لقد عشت وقاسيت كل هذه السنوات معتقدا فى وجودها ، ثم تأتى خرائطك لتدحض هذا الاعتقاد ! . . هذه سرقة أيها الحقير القذر . . أنت لص ولست عالما) . وضربه بقبضة يده على أنفه مرتين . **(يصمت)** ثم تركه وعاد إلى غرفته . . حيث شنق نفسه .

(يصمت الجميع بينما ينظر لوقا إلى ڤاسيلى وناتاشا باسما) .

ڤاسيلي **(فى صوت منخفض)** : يا للشيطان! . . إنها ليست قصة مرحة .

ناتاشا : لم يحتمل اكتشاف خديعته .

بوبنوف **(عابسا)** : إنها مجرد أقاصيص .

ڤاسيلى : نعم - هذه هى قصة أرض الحق والعدل . لقد انتهت بأنه لا يوجد شىء من هذا القبيل .

ناتاشا : أنا حزينة من أجل هذا الرجل .

بوبنوف : كلها أوهام . ها ها ! أرض الحق والعدل ، ما رأيكم فى هذا؟ ها! ها! (**يختفى من النافذة**) .

لوقا : (**مشيرا برأسه ناحية نافذة بوبنوف**) : إنه يضحك . هيه . هيه! (**يصمت**)

(**يصمت**) حسنا أيها الأصدقاء أتمنى لكم نهايات سعيدة فسوف أغادركم بعد قليل .

ڤاسيلى : وأين ستذهب الآن؟

لوقا : إلى أوكرانيا ، فقد سمعت أنهم توصلوا هناك إلى عقيدة جديدة يجب أن ألم بها . . نعم ، فالبشر دائمو الأمل فى الوصول إلى شىء أفضل . فليمنحهم الله الصبر!

ڤاسيلى : وما رأيك أنت؟ هل تعتقد أنهم سيصلون فعلا؟

لوقا : من . . البشر؟ . نعم سيصلون . . ابحث عن أى شىء وتمنه من قلبك . . تصل اليه حتما . .

ناتاشا : لو كانوا سيصلون إلى شىء . . لو كانوا يفكرون فى شىء حسن –

لوقا : سيفكرون فى هذا . . ولكن علينا أن نساعدهم يا فتاتى لنسهل عليهم الأمر .

ناتاشا : وكيف أستطيع أنا أن أساعدهم؟ . . إنى لا أجد من يساعدني!

فاسيلى (بعزم) : أنا سأساعدك - وسأعرض عليك الأمر مرة ثانية يا ناتاشا - وليسمع لوقا أيضا فهو يعرف كل شىء - تعالى معى .

ناتاشا : إلى أين؟ . . من سجن إلى آخر؟

فاسيلى : لقد وعدتك بأنى سأمتنع عن السرقة . أقسم لك أنى سأمتنع ، وأنا أعنى ما أقول . وأنا لست أميا وسأجد عملا . . وهاك لوقا إنه يقول إن على المرء أن يذهب إلى سيبريا بإرادته . . فلنذهب إلى هناك . أتظنين أنى لم أضق بحياتى ؟ أنا أعرف وأرى الآن كل ما حولى . . أحاول أن أسرى عن نفسى بتذكر أولئك الذين يسرقون أضعاف ما أسرق ويحاطون بالاحترام والتقدير ، ولكن ذلك لا يسرى عنى لأنه ليس الحل لما فى نفسى . . وأنا حينما أقول ذلك لست مدفوعا بما يسمونه - الضمير فأنا لا أومن به . . شىء واحد أعلمه جيدا هو أن هذا الطريق ليس طريق الحياة الحقة ، أريد أن أحيا حياة أفضل ، ويجب على أن أحيا بطريقة تدعونى إلى احترام نفسى .

لوقا : أنت على صواب يا فتاى ، فليساعدك الله . أنت محق .. يجب على الإنسان أن يحترم نفسه .

فاسيلى : لقد بدأت حياة السرقة منذ طفولتى .. كان الجميع ينادوننى بفاسيلى اللص ، فاسيلى ابن اللص . هكذا .. افهمى الأمر كما تريدين فها أنا أمامك لص! ولكن ربما أصبحت لصا بالرغم منى .. لأن أحدا لم يفكر فى أن ينادينى باسم آخر غير اللص . ولكنك ستنادينني باسم غير هذا يا ناتاشا . أليس كذلك؟

ناتاشا (بنغم حزين) : ولكنى لا أستطيع أن أصدق أى كلام . ثم انى أشعر بتوعك اليوم ، وقلبى يؤلمنى كأنما أتوقع حدوث شىء .

فاسيلى : أنا آسفة لأنك بدأت هذا الحديث .

فاسيلى : وإلى متى كنت سأنتظر؟ .. ثم ان هذه ليست المرة الأولى التى أصرح لك فيها بهذا .

ناتاشا : حسنا . أنا لا أتصور كيف أستطيع الرحيل معك .. فأنا بصراحة لا يمكننى أن أقول انى أحبك كثيرا ، فأحيانا يخيل إلى أنى أحبك .. وأحيانا مجرد النظر اليك يؤلمنى ، وهذا يدل على انى

لا أحبك حقا . . فحينما تحب انسانا لا ترى فيه أى عيب ، وأنا أرى فيك عيوبا كثيرة .

فاسيلى : سوف تحبيننى حقا . . لا تقلقى ، سأفعل المستحيل لأصل إلى ذلك إذا أنت فقط قلت نعم . لقد كنت أراقبك ما يزيد عن العام وأستطيع أن أرى بوضوح أنك فتاة طيبة ، صارمة مع نفسك غير مستبدة برأيك . . ولقد أحببتك حبا عميقا .

(تظهر فاسيليا فى النافذة العليا فى أبهى زينتها وتسترق السمع قد اتكأت على حافة النافذة) .

ناتاشا : حسنا أنت تقول إنك تحبنى . . فما قولك فى أختى ؟

فاسيلى : **(مرتبكا)** : أوه . . إنها لا تعنى شيئا بالنسبة إلى ، هناك كثيرات من نوعها .

لوقا : لا تهتمى بهذا الأمر يا فتاتى ، حينما لا يجد الإنسان خبزا فإنه يأكل حشيش الأرض .

فاسيلى : **(فى أسى)** : أنا أطلب منك أن تقاسى معى . . فحياتى مريرة ، خالية من كل المتع كحياة الذئب الجائع . . أحس وكأنى فى مستنقع آسن ، كل ما حولى عفن ، ولا شىء يحول من التردى إلى أسفل . ولقد ظننت أختك تختلف عمن حولى فلو لم

تكن على هذا الجشع للمال لفعلت المستحيل من أجلى ولكن كان يجب أن تكون لى وحدى . ولكنها تبحث عن شىء آخر . . إنها تبحث عن المال والحرية . . حرية اللهو مع الرجال إنها لا تستطيع معاونتى . . أما أنت . . أنت مثل شجر الصنوبر تشوك من يلمسها ، ولكنها تعين من يستند اليها .

لوقا : إذا أردت نصيحتى يا فتاتى . . فتزوجيه . . فلا بأس به . . إنه شاب طيب . . ولكن عليك أن تذكريه دائما بأنه شخص طيب حر لا ينسى ذلك ، إنه سيصدقك إذا قلت له دائما : (أنت شخص طيب يا ڤاسيلى ، لا تنسى هذا!) . . ومن جهة أخرى فإلى مكان آخر يمكنك أن تذهبى؟ أنت تعلمين أن أختك حية لئيم مفترس ، أما زوجها فما من صفة يمكن أن تصورها الشريرة . وهذه الحياة هنا . . إنها لن تقودك إلى شىء ذى فائدة أما ڤاسيلى فهو مخلص وهو يتطلع إلى أشياء .

ناتاشا : أنا أعلم أنه لا يوجد مكان آخر ألجأ اليه . . لقد فكرت فى هذا . كل ما فى الأمر أنى لا أثق فى أى انسان . ولكنك على حق ، ليس أمامى مكان آخر أذهب إليه .

ڤاسيلى : إذا بقيت هنا فأمامك طريق واحد للحياة . . ولكنى لن أدعك تسيرين فيه . . أفضل أن أقتلك .

ناتاشا : ها أنتذا تريد قتلى وأنا لم أصبح زوجتك بعد!

ڤاسيلى : **(يحوطها بذراعيه)** : كفى يا ناتاشا . فلننته من هذا الحديث!

ناتاشا : **(تقترب منه)** : سأقول شيئا واحدا يا ڤاسيلى . . وليكن الله شهيدا على ما أقول . . إذا ضربتنى ولو مرة واحدة أو أسأت إلى بأى صورة . . فلن أضيع عمرى معك . . سأشنق نفسى أو -

ڤاسيلى : لتقطع يدى قبل أن تمسك بسوء !

لوقا : ثقى بكلامه يا عزيزتى . إن حاجته اليك أكثر من حاجتك إليه .

ڤاسيليسيا : **(من النافذة)** : تهانئى على النهاية السعيدة!

ناتاشا : يا الهى . . لقد عادوا ورأونا . . أوه ڤاسيلى !

ڤاسيلى : مم تخافين؟ ليس هناك من يجرؤ على لمسك . . !

ڤاسيليسيا : لا تخافى يا ناتاشا فلن يضربك . . إنه لا يعرف كيف يضرب ، ولا كيف يحب . . أنا أعرفه .

لوقا : **(فى صوت منخفض)** : أوه ، يا لها من امرأة كالحية الرقطاء .

ڤاسيليسيا : إنه شجاع فى الكلام فقط - **(يدخل كستليوف)** .

كستليوف : ناتاشا . . ماذا تفعلين هنا أيتها المتسعكة؟ تنشرين الفضائح؟ وتشكين من أسرتك بينما براد الشاى لم يعد بعد والمائدة لم تنظف؟

ناتاشا : ولكنكم قلتم أنكم ستذهبون إلى الكنيسة .

كستليوف : ما نفعله ليس من شأنك! عليك أن تقومى بعملك وتنفذى ما يطلب منك!

فاسيلى : اخرس! منذ اليوم لم تعد خادمتك . . لا تذهبى يا ناتاشا . . ولا تفعلى شيئا !

ناتاشا : لا تصدر أوامر أنت أيضا فلم يحن الوقت بعد . **(تخرج)** .

فاسيلى : **(لكستليوف)** : كفى ، لقد آذيتم الفتاة بما فيه الكفاية . . أما الآن فإنها لى .

كستليوف : لك؟ متى اشتريتها؟ وكم دفعت فيها؟ **(فاسيليسيا تضحك بصوت مرتفع)** .

لوقا : اذهب يا فاسيلى .

فاسيلى : احترسوا أيها الضاحكون فسيأتى وقت تبكون فيه!

فاسيليسيا : أواه . . ياللهول! لقد أرعبتنى !

لوقا : اذهب يا ڤاسيلى . ألا ترى أنها تريد إثارتك لتفقد أعصابك؟

فاسيلى : هكذا؟ لست أنا! لتذهب روحى إلى الجحيم إذا استطعت الوصول إلى ما تريدين!

فاسيليسيا : بل فلأذهب أنا إلى الجحيم يا ڤاسيلى إذا لم أصل إلى ما أريد!

ڤاسيلى : (**يهددها بقبضة يده**) : سوف نرى! (**يخرج**) .

ڤاسيليسيا) (**وهى تختفى من النافذة**) : سأعد لك زفافا رائعا!

كستليوف : (**متجها إلى لوقا**) : ماذا ستفعل أيها العجوز؟

لوقا : لا شىء أيها العجوز

كستليوف : حقا . . سمعت أنك سترحل؟

لوقا : نعم . حان وقت الرحيل .

كستليوف : إلى أين؟

لوقا : إلى حيث يقودنى أنفى!

كستليوف : فهمت . . تتشرد هنا وهناك . . يبدو أنك لا تجد الراحة فى الاستقرار فى مكان واحد .

لوقا : هذا الاستقرار للأحجار ، حتى أن الناس تقول ان الماء نفسه لا يجرى تحت الحجر .

كستليوف : إننا لا نتحدث عن الأحجار . . إن على الإنسان أن يعيش فى مكان واحد . فغير معقول أن يعيش الناس مثل الصراصير زاحفين إلى كل مكان . . يجب على

الإنسان أن يلزم مكانه . . لا أن يضرب فى الأرض
دون مبرر .

لوقا : وما رأيك اذا كان مكان الإنسان هو كل مكان؟

كستليوف : حينئذ يكون متشردا لا فائدة منه . . يجب على
الإنسان أن يكون مفيدا ، عليه أن يعمل

لوقا : هل تعنى ما تقول ؟

كستليوف : نعم . حقا . إنى أتساءل ما الناسك؟ . . ان
الناسك ، فيما سمعت ، أجنبى غريب لا يشبه سائر
الناس . . فإذا كان غريبا حقا ، وإذا كان يعلم شيئا
أو تعلم شيئا لا فائدة منه لأى مخلوق . . قد يكون
فيما يعلمه بعض الحقيقة - ولكن ليست كل حقيقة
مفيدة . . فليحتفظ بما يعلمه لنفسه وليمسك لسإنه
لأن الناسك الحق لا يتكلم . . أو هو يتكلم بحيث
لا يفهمه أحد . . إنه لا يبغى شيئا ولا يهتم إلا
بأموره ولا يثير المشاكل بدون مبرر ، فليس يعنيه فى
شىء كيف يعيش الناس . . فليحىَ حياة خيرة فى
الغابات والأحراش بعيدا بحيث لا يراه أحد .
فليس عمله أن يتدخل فى كل شىء وينتقده ، بل أن
يصلى من أجل الناس جميعا . . من أحل آثامهم

الدنيوية ، آثامى وآثامك ، ومن أجل كل شىء . .
وهو لهذا يطرح وراءه كل الغرور الدنيوى حتى
يستطيع التفرغ للصلاة . . هذا هو الناسك (**يصمت
قليلا**) فأى نوع من النساك أنت؟ إنك لا تملك جواز
سفر بينما الرجل الفاضل يجب أن يكون معه
جواز . . فكل الأخيار معهم جواز سفر . . نعم .

لوقا : هناك ناس ، وهناك مجرد رجال .

كستليوف : لا تحاول أن تكون ظريفا . . لا تكلمنى بالألغاز . .
فأنا لست أغبى منك . . ماذا تقصد بالتفريق بين
الناس والرجال؟

لوقا : ليس هذا لغزا . ما أعنيه أن هناك نوعين من التربة ،
نوعا غير صالح للزراعة بالمرة ، وآخر خصبا كل ما
تزرعه فيه ينمو . . هذا هو كل الفرق .

كستليوف : حسنا وما معنى هذا ؟

لوقا : لنأخذك أنت على سبيل المثال . . إذا قال لك الله عز
وجل : (**كن رجلا يا كستليوف**) فلن يحدث كلامه
أى أثر فيك . . وستظل كما أنت إلى أن تموت .

كستليوف : يبدو أنك لا تعلم أن لزوجتى عما شرطيا . . فاذا
أنت (**تدخل ڤاسيليسيا**) .

فاسيليسيا : هيا يا كستليوف لنتناول الشاى .

كستليوف **(للوقا)** : اسمع يا هذا . . اخرج من هنا! ارحل عن المنزل!

فاسيليسيا : نعم ، أيها العجوز ، ارحل ، فإن لسانك أطول من اللازم . . ومن يدرى فلعلك هارب من السجن .

كستليوف : إذا رأيت أثرا لك بعد اليوم فسأتخذ خطوات إيجابية!

لوقا : ستنادى عمك؟ ناده . قل له إنك أمسكت بهارب من السجن فلعله ينال مكافأة . . قدرها ثلاثة كوبكات . **(يعود بوبنوف إلى الظهور فى النافذة السفلى)** .

بوبنوف : ماذا هناك؟ ما الذى يباع بثلاثة كوبكات؟

لوقا : إنه يهدد ببيعى أنا!

فاسيليسيا **(لكستليوف)** : هيا بنا .

بوبنوف : بثلاثة كوبكات؟ . . احترس أيها العجوز ، فسوف يبيعونك من أجل كوبك واحد!

كستليوف **(لبوبنوف)** : ما أشبهك بإبليس فى تدخلك الدائم فى كل شىء .

فاسيليسيا **(وهى خارجة)** : يبدو أن العالم قد أصبح مليئا بالمجرمين والمشبوهين .

لوقا : أرجو أن تستمتعا بالشاى !

ڤاسيليسيا (**ناظرة خلفها**) : أمسك لسانك أيها المتشرد القذر!

(**تختفى هى وكستليوڤ من عند الممر**) .

لوقا : سأرحل الليلة من هنا .

بوبنوڤ : خيرا تفعل ، فالأفضل أن يرحل الإنسان قبل أن تفوت الفرصة .

لوقا : أصبت .

بوبنوڤ : أنا أعرف قيمة ما أقول ، فلقد أنقذت نفسى مرة من النفى إلى سيبريا برحيلى فى الوقت المناسب .

لوقا : حقا ؟

بوبنوڤ : هذا هو الواقع ، هاك ما حدث ، فقد صاحبت زوجتى صانع فراء ويجب أن اعترف أنه كان صانعا ماهرا ، كان بارعا فى دبغ جلود الكلاب حتى تبدو كأنها فراء ثعالب ، وكذلك كان يحول جلود القطط إلى فراء (**الكنجرو**) وكل أنواع الفراء . كان بارعا حقا . صاحبت زوجتى هذا الرجل وتوثقت الصلة بينهما حتى أصبحت أخشى أن يدسا لى السم فى أية لحظة ، أو أن يتخلصا منى بطريقة أخرى . . فأخذت أضرب زوجتى ، وأخذ صانع الفراء

يضربنى ، وكان مقاتلا متوحشا حتى إنه نزع لى مرة نصف لحيتى وحطم أحد ضلوعى . واشتد بى الغضب ذات مرة فضربت زوجتى على رأسها بسيخ من الحديد . . و هكذا أصبحت المسألة حربا مستعرة بينى وبينهما . وتأكدت أنى لن أصل إلى أى نتيجة بالاستمرار فيها . . فقد كانا أقوى منى . . فعقدت العزم على قتل زوجتى - وكنت أكاد أجن شوقا إلى تحقيق هذا العزم . . ولكنى تنبهت فى الوقت المناسب ورحلت بدل أن أقتلها .

لوقا : فكرة صائبة . . اتركهما معا يجولان الكلاب إلى ثعالب .

بوبنوف : كل ما يضايقنى أن مصنعى كان مسجلا باسم زوجتى ، فأصبحت وأمسيت وإذا بى - كما ترانى الآن - لا أملك شيئا . . ولو أن الواقع أنى كنت سأسكر بثمن المصنع حتما . . فأنت ترى أنى مدمن على شرب الخمر .

لوقا : صحيح؟ آه .

بوبنوف : نعم . . إنه داء لعين حينما يتملكنى أشرب بكل ما معى حتى لا يبقى على سوى جلدى . . ثم إننى

كسول . . وليس فى إمكانك أن تتصور مدى كرهى للعمل .

(يدخل ساتن والممثل وهما يتناقشان)

طق! لن تذهب من هنا . . المسألة ليست إلا خيال حشاشين . . تعال هنا أيها العجوز . . ما هذه الأفكار التى جعلت تلقنها لهذا الثرثار المحطم؟

الممثل : أنت تكذب . . قل له أيها الجد إنه كذاب . . انى سأذهب . . لقد حصلت اليوم على عمل ، فكنست الشارع دون أن أقرب الفودكا . ما رأيك فى هذا؟ وهذه هى الثلاثون كوبكا وهأنذا فى وعيى .

ساتن : إنه جنون . . هذا كل ما فى الأمر - أعطنى هذا المبلغ وسأسكر لك به أو أخسره فى القمار .

الممثل : اتركنى ! إنه للسفر .

لوقا (لساتن) : والآن لماذا تثبط همة هذا الرفيق المسكين؟

ساتن : خبرنى أيها المشعوذ الذى تؤثره الآلهة . . أى مصير تخبئه لى النجوم؟ . . لقد خسرت كل ما معى من نقود يا صاحبى . . فلا يزال هناك من هم أمهر منى فى الغش فى الورق . .

لوقا : أنت شخص طيب ومسل يا ساتن .

بوبنوف : تعال هنا أيها الممثل . **(يذهب الممثل إلى النافذة ويجلس القرفصاء مواجها بوبنوف ويتحدثان فى صوت غير مسموع)** .

ساتن : فى أيام شبابى كنت مسليا جدا أيها العجوز . . ما أجمل تذكر تلك الأيام . . كنت سعيدا محظوظا . . أرقص برشاقة وأمثل على المسرح ، وأحب أن أضحك الناس . . كانت أياما رائعة .

لوقا : ما الذى جعلك تحيد عن الطريق القويم إذن؟

ساتن : أنت شديد الفضول أيها العجوز . . تريد أن تعرف كل شىء . . لماذا؟

لوقا : لأفهم طبيعة البشر يا عزيزى ، فأنا الآن أنظر اليك بدون أن أفهم حقيقتك تماما . . أنت مكتمل الرجولة وذكى يا ساتن . . لماذا إذن فجأة . .

ساتن : إنه السجن أيها العجوز . قضيت فيه أربعة أعوام وسبعة شهور . . وبعد السجن لا يجد الإنسان مكانا يذهب إليه .

لوقا : هكذا . . ولماذا سجنت؟

ساتن : من أجل حقير قذر . . قتلته فى ثورة غضب . . وفى السجن تعلمت لعب الورق أيضا .

لوقا : وهل قتلت بسبب امراة؟

ساتن : بسبب أختى . . وكفاك إزعاجا فأنا لا أحب أن أستجوب . . ثم إنه قد مر على ذلك زمن طويل ، وأختى ماتت بعد هذه الحادثة بتسع سنوات . . كانت أختى صغيرة ولطيفة .

لوقا : الحق أنك تستهتر بالحياة . . إن الحداد كان منذ لحظة يصرخ هنا صراخا شديدا جداً كان شيئا مخيفا .

ساتن : من؟ . . كلستش؟

لوقا : نعم هو . . كان يصيح : (**لا عمل . . لا شىء ! لا شىء !**)

ساتن : سوف يتعود على الأمر . . والآن أنا اتساءل ماذا سأفعل بنفسى ؟

لوقا (بهدوء) : انظر ، ها هو ذا آت (**يدخل كلستش ببطء مطأطئ الرأس**) .

ساتن : هيه أيها الأرمل! لماذا تستسلم للحزن؟ . . ماذا فى رأسك؟

كلستش : إنى أحاول التفكير فيما أصنع بعد أن فقدت أدوات عملى . . لقد ابتلعت الجنازة كل شىء .

ساتن : خذها منى نصيحة ، لا تفعل شيئا . . دع نفسك تصبح عالة على الدنيا بأوسع معانيها!

كلستش : أنت وعبثك . . إنى أخجل من الناس .

ساتن : انس ذلك . . فالناس لا يخجلون من تركك تعيش فى حال أسوأ من الكلب . فكر فيما يحدث لو توقفت أنت وأنا ومئات وآلاف غيرنا عن العمل . . الجميع هل تفهم؟ . . إذا ما امتنع الجميع عن القيام بأى عمل فماذا سيحدث إذن؟

كلستش : سيموت الجميع من الجوع .

لوقا (لساتن) : يجب أن تنضم بأفكارك هذه إلى جماعة الهاربين . . هناك فرقة دينية بهذا الاسم .

ساتن : أعلم . إنهم ليسوا مجانين أيها الجد .

(يسمع صياح ناتاشا من نافذة آل كستليوف) .

ناتاشا : ما ذنبى؟ . . أرجوك . . أرجوك . . ماذا فعلت؟

لوقا (مذعورا) : صوت كصوت ناتاشا . . أوه يارب!

(يسمع ضجيج وصراخ وأصوات أطباق تتحطم صادرة من مسكن كستليوف) .

كستليوف (من خارج المسرح) : يا كافرة . . يا فاجرة .

ڤاسيليسيا (من خارج المسرح) : انتظر حتى أقيدها .

ناتاشا (من خارج المسرح) : إنهم يضربوننى . . إنهم يقتلوننى!

ساتن (**يصيح فى النافذة**) : هاى . . أنتم هناك!

لوقا (**يتحرك حائرا هنا وهناك**) : يجب أن ننادى ڤاسيلى - أوه يارب! . . يا رفاق . . يا أصدقاء -

الممثل (**وهو يجرى خارجا**) : سأحضره -

بوبنوف : إنهم يضربونها الآن ضربا مبرحا -

ساتن : هيا بنا أيها العجوز . . وإلا كنا من الشهود . .

لوقا (**وهو يتبع ساتن**) : أنا لا أصلح شاهدا . . لا! . . لو أن ڤاسيلى يحضر بسرعة . (**يخرج ساتن ولوقا**) .

ناتاشا (من خارج المسرح) : ڤاسليسليا! . . أختى . . فاسى

بوبنوف : لقد كمموها . . سأذهب لأرى .

(تخفت الضجة الصادرة من مسكن كستليوف منتقلة من الحجرة التى بها النافذة إلى الداخل . يسمع صوت لوقا وهو يصيح: كفى! كفى! . . يرتفع صوت قوى لإغلاق باب بعنف فيقطع كل الضجيج كأنه فأس . كل شىء هادئ على المسرح . . ضوء الغسق يغمر المكان) .

كلستش (جالسا بغير مبالاة على مركبة الثلج المقلوبة يفرك يديه بشدة ثم يبدأ فى غمغمة غير واضحة فى بادئ الأمر): ما العمل الآن؟ على أن أعيش . . (رافعا صوته) يجب أن يكون لى مكان أعيش فيه . . أليس كذلك؟ وليس لدى هذا المكان . . ليس لدى شىء . . أنا لا أملك سوى نفسى . . مجرد مخلوق وحيد لا يجد عونا من أحد . (يخرج متثاقلا مقوس الظهر . تمر لحظات سكون مريرة . . ثم تسمع ضجة خافتة مختلفة آتية من مكان بالممر ثم تأخذ فى العلو والاقتراب حتى يمكن تمييز أصوات الأشخاص خارج المسرح) .

ڤاسيليسيا : أنا أختها! دعنى !

كستليوف : بأى حق تتدخل ؟

ڤاسيليسيا : يا طريد السجون !

ساتن : ناد ڤاسيلى حالا! أحكم الضرب يا لوز!

(يسمع صوت صفارة بوليس ويندفع التترى داخلا ويده اليمنى مربوطة إلى رقبته) .

التترى : أى قانون هذا . . جريمة قتل فى وضح النهار! (يدخل لوز ويتبعه مدڤديف) .

لوز : آه ، لقد ضربته ضربة شديدة حقا!

مدفديف : كيف تجرؤ على ضرب الناس؟

التترى : وأنت . ؟ ما هو واجبك؟

مدفديف يجرى خلف لوز) : قف . . أعطنى صفارتى .

(يدخل كستليوف وهو يجرى) .

كستليوف : مدفديف! أمسكه - اقبض عليه !

(تدخل كفاشنيا وناستيا من عند الناصية وهما تسندان ناتاشا التى تبـــدو مشعثة الشعر والملابس . ويتبعهن ساتن داخلا بظهره وهو يقاوم ڤاسيليا التى تلوح بيديها محاولة الوصول إلى ناتاشا وضربها . أليوشكا يقفز بمرح مجنون حول ڤاسيليسيا وهو ينفخ صفارة فى أذنها ويصيح ويصرخ ، وتندفع خلفهم مجموعة من الرجال والنساء ممزقى الثياب) .

ساتن (لفاسيليسيا) : إلى أين أنت ذاهبة أيتها البومة الناعقة؟

ڤاسيليسيا : ابتعد عنى يا طريد السجون! سأمزقها اربا ولو كان فى هذا هلاكى أنا الأخرى!

كفاشنيا **(وهى تدفع ناتاشا بعيدا)** : اهدئى يا ڤاسيليسيا .

يجب أن تخجلى من نفسك وتكفى عن التصرف وكأنك حيوان مفترس .

مدڤديف (**وهو يمسك بساتن**) : وأخيرا ، هأنذا أمسكتك!

ساتن : لوزا أعطها لهم! ڤاسيلي! . . يا ڤاسيلى! (**يقودون ناتاشا على كومة الأخشاب حيث تجلس بينما يتجمع الآخرون قرب الممر مستندين إلى الحائط الأحمر . . يندفع ڤاسيلى من الممر شاقا طريقه بذراعيه خلال الجمع فى سكون وقوة**) .

ڤاسيلى : أين ناتاشا؟ آه إنه أنت - (**ينسحب كستليوڤ إلى ما وراء الناصية**) .

كستليوڤ (من خارج المسرح) : مدڤديف! اقبض على ڤاسيلي! يا جماعة ساعدوه فى القبض على ڤاسيلي! إنه لص نشال .

ڤاسيلى : آه ، أيها الجدى العجوز! (**يعمل ڤاسيلى الضرب فى كستليوڤ بقبضة يده فيسقط الأخير على الأرض بحيث لا يظهر على المسرح سوى نصفه الأعلى . يندفع ڤاسيلى نحو ناتاشا**) .

ڤاسيليسيا : اصنعوا شيئا لڤاسيلى ! أنتم كلكم أيها الناس الطيبون ، اضربوه . هذا اللص القذر!

مدفديف : **(يصيح فى ساتن)** : لا تتدخل فيما لا يعنيك! إنها مسألة عائلية! وكلهم أقارب - فما دخلك أنت؟ من أنت؟

فاسيلى : ماذا فعلت بك؟ هل طعنتك بسكين؟

كفاشنيا : انظر ماذا فعل الوحوش - لقد أحرقوا قدمى الفتاة بالماء المغلى .

ناستيا : صبوا إبريق الشاى عليها .

التترى : ربما وقع الإبريق عليها عفوا يجب أن تتأكدى . يجب ألا تتحدثى بما لا تعرفين .

ناتاشا : **(وهى على وشك الإغماء)** : خذنى يا فاسيلى . . خبئنى

فاسيليسيا : يا الله ! انظروا لقد مات . قتلوه **(يتجمع الحاضرون حول كستيلوف فى الممر ثم يترك بوبنوف الجميع ويتجه نحو فاسيلى)** .

بوبنوف : **(فى صوت منخفض)** : اسمع يا فاسيلى . الرجل العجوز - أنت تفهم - مات .

فاسيلى : **(ينظر إلى بوبنوف دون أن يفهم حرفا مما قال)** : اذهب وناد من يأخذها إلى المستشفى - وسأعرف أنا كيف أتصرف معهم !

بوبنوف : كنت أقول لك ان العجوز قتل . (تتلاشى الضجة على المسرح كما تخمد النار يلقى عليها بالماء ، وتسمع أصوات تعجب تصدر بين حين وآخر فى طبقة صوتية منخفضة: (أحقا؟) (هل علمت؟) (وبعدا) (فلنبتعد من هنا) . (أوه! . يا للشيطان!) والآن لتأخذ حذرك!) ثم يتضاءل عدد الموجودين شيئاً فشيئا . . يندفع بوبنوف والتترى وناستيا وكفاشنيا نحو جثة كستليوف) .

فاسيليسيا (تقوم من على الأرض وتصرخ) : قتلوه! . قتلوا زوجى ! (فى صوت ظافر) ها هو ذا القاتل . فاسيلى هو الذى قتله . لقد رأيته وهو يقتله . . أيها الناس الطيبون ، لقد رأيته بعينى رأسى . . وبعد يا فاسيلى ؟ ماذا ستقول للبوليس؟

فاسيلى : (يترك ناتاشا) : ابتعدى عن طريقي! (يحدق فى جثة القتيل ثم يوجه الكلام إلى فاسيليسيا) وبعد ألست سعيدة؟ (يركل الجثة بقدمه) لقد نفق الخنزير العجوز! وحصلت على أمنيتك أليس الأفضل أن أقضى عليك أيضا! (يندفع نحوها ولكن ساتن ولوز يمنعانه بسرعة . تفر فاسيليسيا إلى الممر) .

ساتن : عد إلى صوابك .

لوز : هوه! إلى أين أنت مندفع؟ **(تعود ڤاسيليسيا)**

ڤاسيليسيا : والآن ما قولك يا صديقى العزيز ڤاسيلي؟ إن الإنسان لا يستطيع الإفلات من القدر . ناد مفتش البوليس يا مدڤديڤ! انفخ صفارتك!

مدڤديڤ : لقد سرقها هؤلاء الفجرة !

أليوشكا : ها هى ذى . **(ينفخ فى الصفارة . مدڤديڤ يجرى خلفه)** .

ساتن : **(يقود ڤاسيلى نحو ناتاشا)** : لا تخف يا ڤاسيلي! فقتل رجل فى أثناء شجار ليس بالشىء الخطير ولا يكلف كثيرا

ڤاسيليسيا : اقبضوا على ڤاسيلى ! إنه القاتل . . لقد رأيته وهوى قتله!

ساتن : أنا نفسى لكمت العجوز عدة لكمات . . وهو لم يكن فى حاجة إلى جهد كبير لينتهى . . اطلبنى شاهدا يا ڤاسيلى .

ڤاسيلى : لست فى حاجة إلى شهود . . كل ما أريده هو إقحام ڤاسيليلسيا فى الجريمة ، وإنى لفاعل . فهى التى سعت إلى كل هذا وكانت تحرضنى دائما على قتل زوجها !

ناتاشا : **(فجأة وبصوت مرتفع)** : أوه ، الآن فهمت كل شيء ! . . اذن فهذه هى الحكاية يا ڤاسيلي؟ . . ما أطيبكما! إنهما مشتركان فى الأمر معا! هو وشقيقتى دبرا كل هذا . أليس كذلك يا ڤاسيلي؟ وما تكلمت معى اليوم بهذا الأسلوب الا لتسمع هى كل شيء . . ما أكرمكما! . . إنها عشيقته . . كلكم تعلمون هذا - كل الناس يعرفونه ، و كلاهما مذنب! فهى التى حرضته على قتل زوجها . . لأنه كان عقبة فى طريقهما . . وكذلك كنت أنا أيضا . . ولهذا شوهونى وآذونى .

ڤاسيلى : ناتاشا - ماذا تقولين ؟

ساتن : يا للشقاء .

ڤاسيليسيا : كذابة ! إنها تختلق - أنا - إنه هو وحده ، ڤاسيلى هو الذى قتله!

ناتاشا : إنهما شريكان معا! إنى ألعنكما! ألعنكما معا .

ساتن : كل هذه الأحداث ! احترس يا ڤاسيلى فستكون أنت الضحية فى النهاية .

لوز : هذا أكثر مما أستطيع فهمه . . يا إله السموات ، يا لها من مشكلة!

ڤاسيلى : أحقا تعنين ما قلته يا ناتاشا؟ - هل تعتقدين حقا أنى وإياها

ساتن : فكرى جيدا يا ناتاشا الطيبة

ڤاسيليسيا **(فى الممر)** : لقد قتل زوجى أيها السيد . . ڤاسيلى اللص هو الذى قتله أيها المفتش . . لقد رأيته وكلهم رأوه

ناتاشا : **(تتحرك فى المكان كالتائهة وهى فى شبه غيوبة)** : أيها الناس الكرام! لقد قتلته أختى وڤاسيلى . استمع إلى أيها المفتش! هذه المرأة ، شقيقتى علمت - وحرضت - عشيقها - هذا الرجل الملعون هناك - وقتلا الرجل معا! اقبضوا عليهما حاكموهما . وخذونى أنا أيضا - خذونى إلى السجن! أستحلفكم بالله خذونى إلى السجن!

ستار

الفصل الرابع

نفس منظر الفصل الأول غير أن الحواجز التى كانت تكون حجرة فاسيلى قد رفعت فلم يعد للحجرة وجود . . التترى مستلق فى مكإنها وقد ظهرت عليه أمارات القلق وهو يئن بين آن وآخر . كما رفعت كتلة الخشب التى كانت عليها المطرقة حيث كان كلستش يعمل . كلستش جالس إلى المائدة يصلح (أكورديون) ويحاول عزف السلم الموسيقى . يجلس إلى الطرف الآخر من المائدة ساتن والبارون وناستيا وأمامهم زجاجة فودكا ، وثلاث زجاجات من الجعة ، وقطعة كبيرة من الخبز الأسمر . أما الممثل فقد اعتلى الفرن ويسمع وهو يتحرك ويسعل .

الوقت مساء والمكان مضاء بمصباح غازى موضوع فى وسط المائدة . الريح تصفر فى الخارج .

كلستش : نعم ، لقد هرب وسط تلك الفوضى .

البارون : اختفى من البوليس كما يفر الدخان من النار .

ساتن : هكذا يختفى المذنبون من وجه العدالة .

ناستيا : كان العجوز طيبا . . أما أنتم فلستم رجالا ، إنكم مجرد عفن!

البارون **(يشرب)** : فى صحتك يا صاحبة العصمة !

ساتن : نعم كان شيخا طريفا حقا وقد وقعت ناستيا فى غرامه حتى أذنيها !

ناستيا : نعم لقد أحببته ، ولن أنكر هذا . . فقد كان يرى . . وكان يفهم كل شيء .

ساتن : **(ضاحكا)** : والخلاصة أنه كان لبعض الناس كالخبز اللين بالنسبة للأهتم .

البارون **(ضاحكا)** : كالمرهم بالنسبة للجرح .

كلستش : كان يشفق على الناس ، أما أنتم فلا شفقة فى قلوبكم .

ساتن : وماذا يفيدك إشفاقى عليك؟

كلستش : إذا أنت لم تستطع الإشفاق على شخص فأنت قادر على ايذائه .

التترى : **(يجلس على فراشه ويهدهد ذراعه المجروحة كما لو كانت طفلا)** : كان العجوز طيبا يسيطر حب

القانون على روحه . . ومن كان هذا شأنه فهو طيب . . أما من فقد حب القانون فهو ضائع .

البارون : أى قانون يا حسن ؟

التترى : قانون من نوع آخر . . إنك تعلم أى قانون هو .

البارون : أكمل .

التترى : ألا تؤذى مخلوقا . . هذا هو القانون!

ساتن : إنه يسمى **(قانون العقوبات الجنائية والإصلاحية)**

البارون : وهو يسمى كذلك **(قانون العقوبات)** الذى ينفذه حفاظ الأمن .

التترى : إنه يسمى القرآن بالنسبة إلى . . أما قرآنكم فيسمى القانون . يجب أن يكون فى كل روح نوع من القرآن . . نعم .

كلستش : **(وهو يجرب الأكورديون)** : عليه لعنة الله ، انظروا اليه كيف يصفر . . حسن على حق يجب علينا أن حيا حسب القانون . . حسب الأناجيل . .

ساتن : افعل أنت ذلك .

البارون : نعم ، حاول أنت ذلك . .

التترى : لما بعث محمد بالقرآن قال للناس : **(هذا هو القانون! نفذوا تعاليمه)** ثم تقدم الزمن وأصبحت الكتب

السماوية غير كافية فى نظر بعض الناس . . سيظهر قانون جديد . . كل عصر جديد سيعطى قانونه الخاص .

ساتن : هذا حق . . لقد تقدم الزمن وأعطانا قانون العقوبات ، وهو قانون قوى لن يبلى بسرعة .

ناستيا **(تضرب المائدة بكأسها)** : لماذا أستمر فى الحياة معكم . . هنا؟ سأرحل . . سأرحل إلى أى مكان . . إلى نهاية العالم !

البارون : وهل سترحلين بدون حذاء يا صاحبة العصمة؟

ناستيا : سأرحل ولو كنت عارية تماما ! ولو اضطررت للزحف على أربع!

البارون : سيكون هذا منظرا لطيفا يا صاحبة العصمة . . خاصة وأنت على أربع .

ناستيا : نعم على أربع أريد أن أزحف مسافة تكفى لئلا أرى وجوهكم بعد ذلك . . لقد اشمأزت نفسى من كل شيء . . من الحياة كلها . . من الناس أجمعين!

ساتن : عند رحيلك خذى الممثل معك ، فهو يستعد للرحيل هناك كذلك . . فقد ترامى إلى علمه أنه على بعد نصف ميل من نهاية العالم يوجد مستشفى يعالج الذين تسمم تركيبهم .

الممثل (يهز رأسه من فوق الفرن) : أعضاؤهم يا غبي!

ساتن : تعالج الذين تسمم تركيبهم من الكحول .

الممثل : سوف أرحل! نعم سيرحل . . فقط انتظر قليلا!

ساتن : من هو يا سيدى ؟

الممثل : أنا !

البارون : شكرا يا خادم الربة . . ما اسمها؟ . . ربة الدراما ، ربة التراجيديا ماذا كان اسمها؟

الممثل : إلهة يا غبى ! إنها يلهة وليست ربة .

ساتن : لا ، خييس . . هيرا . . أفروديت . . أتروبوس - الشيطان وحده يعلم أيها . هل ترى ماذا صنع العجوز يا بارون؟ إنه هو الذى أوصل الممثل إلى هذه الحالة .

البارون : إن العجوز مغفل كبير .

الممثل : إنكم وحوش ! انكم جهلاء «ملبومينية» يا إلهة التراچيديا! إنكم أغبياء! سوف يرحل وسترون (ارتعى أيتهاا العقول ا لغبية) هذا من قصيدة للشاعر (بيرانجير) - نعم سيجد لنفسه مكانا ليس فيه . . ليس فيه .

البارون : ليس فيه شىء؟

الممثل : نعم لا شىء! هذا الحجر سيكون قبرى . . إنى

أموت من المرض والضعف! لماذا تعيشون؟ . .
لماذا؟

البارون : أنت يا أدموند كين!! يا عبقرى السكر!! . . كف عن هذا النواح

الممثل : ولكنى لن أكف عن النواح على حياتكم! سأنوح!

ناستيا : **(ترفع رأسها عن المائدة وتبسط ذراعيها)** : نح كما تريد! نح حتى يسمعوك!

البارون : وما الحكمة فى هذا يا صاحبة العصمة؟

ساتن : اتركهما يا بارون! ليذهبا إلى الجحيم! ولينوحا كما يشاءان! وليشجا رأسيهما! ففى هذا حكمة كبيرة!! ابتعد عن طريق الناس كما كان العجوز يقول . . آه لقد كان كالخميرة ينفش جماعتنا هنا . .

كلستش : حثهم على الرحيل إلى مكان ما ، ولكنه لم يرشدهم إلى الطريق .

البارون : إن العجوز محتال .

ناستيا : كذاب! إنك أنت المحتال .

البارون : صه . . يا صاحبة العصمة .

كلستش : كان العجوز يكره الحقيقة ويتعصب ضدها . . وهو على صواب فماذا تفيدنا الحقيقة إذا كنا بدونها ،

لا نستطيع حتى التنفس؟ فهذا هو التترى كسرت ذراعه فى العمل وسوف يضطر إلى بترها على ما أعتقد . . أليست هذه إحدى الحقائق؟

ساتن : (**يضرب المائدة بقبضة يده**) : كفى أيها الوحوش البلهاء! كفاكم حديثا عن العجوز! (**فى صوت أكثر هدوء**) أنت أسوأ الجميع حالا يا بارون ، فأنت لا تفقه شيئا . وتكذب . . لم يكن العجوز محتالا . . ثم ماهى الحقيقة؟ . . ان الحقيقة هى الإنسان نفسه! لقد أدرك هو ذلك ، أما أنت فلا تفهم شيئا . أنت غبى كقالب الطوب أما أنا فأفهم العجوز ، نعم أنا أفهمه . . كان يكذب لا شك ، ولكن كذبه كان شفقة منه عليكم . . عليكم لعنة الشيطان أجمعين! هناك عدد كبير من الناس يكذبون بدافع الشفقة على الآخرين - أنا أعرف هذا - وقد قرأت عنه ، إنهم يكذبون بطريقة جميلة ومثيرة وكأنهم ملهمون . . فهناك نوع من الكذب يهدئ ، ويجعل الإنسان يرضى بمصيره . فهو يبرر مثلا ذلك الحمل الثقيل الذى كسر ذراع العامل ، ويمنع الآخر من الاحتجاج على الموت جوعا - أنا أعرف أنواع الأكاذيب! نوعان من الناس يحتاجون إلى الكذب ،

ضعاف الروح ، ومن يعيشون على كد الآخرين ، فالضعاف يستمدون من الكذب قوة ، أما المستغلون فهم يتخذون الكذب ستارا لخداع غيرهم . ولكن الإنسان المستقل ، سيد نفسه ، الذى ليس عالة على أحد . . هذا الإنسان يستطيع أن يستغنى عن الكذب . . لأن الكذب عقيدة العبيد والأسياد ، أما الصدق فهو إله الإنسان الحر .

البارون : برافو! رائع! . . أنا أوافقك . . إنك تتحدث وكأنك رجل مهذب .

ساتن : ولماذا لا يتحدث الغشاشون أحيانا بلغة الشرفاء؟ . . مادام الشرفاء يتحدثون بلغة الغشاشين؟ إيه ، لقد نسيت أشياء كثيرة ، ولكنى لا أزال أذكر القليل . كان للعجوز عقل راجح وكان له على تأثير الحامض فى قطعة النقود القديمة القذرة . لنشرب نخب صحته املأى الكئوس . .

(تملأ ناستيا كأسا من الجعة وتناولها لساتن الذى يواصل حديثه مبتسما)

ساتن : كان العجوز يعيش من داخل نفسه وهو ينظر إلى كل شىء خلال نفسه . سألته مرة : (لماذا يعيش الناس أيها الجد؟) (يحاول تقليد صوت لوقا وطريقته فى الحديث)

يعيشون فى انتظار حدوث شىء أفضل يا صاحبى ؛ خذ النجارين مثلا ، إنهم يعيشون كلهم حياة قذرة تافهة ، ولكن سيأتى يوم يولد فيه نجار لم تشهد له الأرض مثيلا . . ليس له نظير ، فيغمر ضوؤه الجميع ، ويقلب صناعة النجارة رأسا على عقب فإذا بها تتقدم عشرين عاما فى قفزة واحدة . وهذا شأن الناس . هذا شأن الحدادين وصانعى الأحذية وغيرهم من العمال . . والفلاحين كذلك . . وحتى الأسياد كلهم يعيشون فى انتظار حدوث شىء أفضل . يعيشون مائة عامٍ وربما أكثر من ذلك فى انتظار ظهور رجل أفضل ممن حولهم .

(تحدق ناستيا فى ساتن ويكف كلستش عن معالجة الأكورديون) وينصت . **(ينقر البارون بأصابعه على المائدة وقد أحنى رأسه على صدره . يحاول الممثل الهبوط بحذر من فوق الفرن إلى الفراش المجاور)** .

الجميع ، الجميع يا صديقى يعيشون فى انتظار حدوث شىء أفضل . ولهذا وجب علينا أن نحترم كل إنسان . . فمن يدرى ماذا يكمن فى هذا الرجل؟ لماذا ولد؟ وماذا يستطيع أن يفعل؟ ربما يكون قد ولد ليسعدنا جميعا ويجمل حياتنا . . وعلينا أن

نحترم الأطفال بصفة خاصة ، فالأطفال فى حاجة إلى مجال فسيح . لا تعترضوا سبيل حياتهم . . بل كونوا رحماء بهم .

البارون : **(مفكرا)** : هيه . . فى انتظار حدوث شىء أفضل؟ هذا يذكرنى بأسرتنا ، وهى أسرة عريقة يرجع تاريخها إلى عهد الإمبراطورة العظيمة **(كاترين)** . كانوا كلهم نبلاء ورجال حرب! جاء أجدادهم من فرنسا ، وخدموا الحكومة وظلوا يرتقون ويرتقون . وقد وصل جدى **(جوستاف ديبل)** إلى منصب خطير فى عهد الامبراطور نقولا الأول . . وكانت لدينا ثروة طائلة ، ومئات من العبيد . . والخيل . . والطهاة . .

ناستيا : كذاب! لم يكن هناك شىء من هذا !

البارون **(يهب واقفا)** : ماذا ؟ وبعد ؟

ناستيا : لم يكن هناك شىء!

البارون **(صائحا)** : قصر فى موسكو! وآخر فى سانت بطرسبورج ! وعربات عليها شارة الأسرة!

(يأخذ كلستش (الأكورديون) وينتحى جانبا ليراقب ما يدور حوله)

ناستيا : لم يكن هناك شىء!

البارون : اخرسي! وعشرات من الخدم والحشم .

ناستيا (متشفية) : لم يكن هناك شيء!

البارون : سأقتلك .

ناستيا (تستعد للهرب) : ولا عربة !

ساتن : كفى يا ناستيا! لا تغيظيه .

البارون : انتظرى . . أيتها الحقيرة! كان جدى .

ناستيا : ولم يكن هناك جد! لم يكن هناك شيء على الاطلاق!
(**يضحك ساتن**)

البارون (**يجلس على المقعد الطويل مجهدا من انفعالاته المتتالية وصياحه**) : ساتن ، قل لهذه الفاجرة . . أنك تضحك أنت أيضا؟ حتى أنت لا تصدقني؟ (**يضرب المائدة بقبضة يده صائحا فى يأس**) لقد كان هناك كل ما قلته . . عليكم لعنة الشيطان!

ناستيا (**بانتصار**) : أها ، أ نت تصرخ الآن؟ أتفهم الآن كيف يتألم الإنسان حينما لا يصدقه من حوله؟

كلستش (**وهو يعود إلى المائدة**) : ظننت أنه ستحدث معركة .

التترى : آه - آه ، ما أغبى الناس ، إنهم أشرار .

البارون : أنا لا أسمح لأحد بإهانتى ! فلدى إثباتات . . وثائق . . لعنة الله عليها!

ساتن : احتفظ بها لنفسك! وانس كل ما يتعلق بعربات جدك . . فعربات الماضى لن توصلك الآن إلى أى مكان .

البارون : ولكن كيف تجسر هى ؟

ناستيا : تصوروا ! كيف أجسر أنا !

ساتن : أنت ، لقد تجاسرت بالفعل . وهى ليست أسوأ حالا منك مع أنه لم يكن لها فى ماضيها ، بالتأكيد - لا عربات ولا جد ، ولا حتى أب وأم .

البارون (وقد بدأ يهدأ) : لعنة الله عليك . إنك تستطيع ان تفكر بهدوء . أما أنا فيبدو أنه ليست لدى أية شخصية .

ساتن : ابتع لنفسك واحدة؛ فهى مفيدة (**فترة من الصمت**) هل ذهبت إلى المستشفى يا ناستيا؟

ناستيا : لماذا ؟

ساتن : لتزورى ناتاشا ؟

ناستيا : أليس هذا السؤال متأخرا؟ لقد غادرت ناتاشا المستشفى منذ مدة طويلة . . غادرتها . . واختفت . ولم يرها أحد بعد ذلك فى أى مكان .

ساتن : لابد أنها تبخرت . . اندثرت .

كلستش : كم هو لطيف أن ترى من الذى سيدمر زميله ، أهو ڤاسيلى الذى سيودى بڤاسيليسيا أم العكس . .

ناستيا : ستعرف ڤاسيليسيا كيف تنجو بنفسها - إنها ماهرة . . أما ڤاسيلى فسيذهب إلى سيبريا .

ساتن : إن عقوبة القتل أثناء العراك هى السجن فقط .

ناستيا : هذا مؤسف ، فإن سيبريا تلائمه أكثر من السجن . انى أتمنى أن تشحنوا جميعا إلى سيبريا . . أو أن يلقى بكم فى جحر كالقاذورات .

ساتن (**فزعا**) : هل جننت ؟

البارون : سأدمى أنفها لوقاحتها .

ناستيا : حاول . . المسنى فقط .

البارون : سأفعل بكل تأكيد .

ساتن : اتركها . لا تلمسها . لا تحاول إيذاء إنسان . أنا لا استطيع ابعاد ذلك العجوز وأفكاره من رأسى (**يضحك**) لا تؤذ أى إنسان! ولكنى أوذيت ذات مرة ، أوذيت بضربة واحدة تركت أثرها فى حياتى كلها! فماذا يجب على أن أفعل؟ هل أصفح؟ لا ، ولو قدمت حياتك ثمنا لها! أبدا

البارون (**مخاطبا ناستيا**) : يجب أن تفهمى جيدا أنك لست من مستواى . أنت . . أنت قذارة تحت قدمى .

ناستيا : أيها المخلوق التافه الذى لا يصلح لشىء! ماذا؟ إنك تعيش عالة علىّ كما تعيش الدودة على التفاحة .
(ينفجر الرجال جميعا ضاكين) .

كلستش : تفاحة صغيرة جميلة! آه يا لك من خبيثة .

البارون : ليس فى امكان أحد مخاصمة هذه البلهاء!

ناستيا : أتضحك! أيها المنافق! أتظن أن فى الأمر ما يضحك؟

الممثل **(فى وقار)** : أعطهم ما يستحقونه من إهانات وشتائم .

ناستيا : لو كان لدى القوة لحطمتكم جميعا هكذا **(تمسك بكوب من على المائدة وتحطمه على الأرض)** .

التترى : ولماذا تحطمين الكوب؟ ما أغباك!

البارون **(ناهضا)** : سأعلمها الأدب !

ناستيا **(تجرى ناحية باب الردهة)** : لتذهب إلى الجحيم .

ساتن : **(لناستيا)** : هاى ؟ كفى جريا! ممن تخافين؟ وفيم كل هذا؟

ناستيا : وحوش! إنى أتمنى موتكم جميعا! أيها الوحوش!
(تختفى فى الردهة)

الممثل **(بوقار)** : آمين .

التترى : أوه! إن المرأة الروسية شريرة! متحررة أكثر من

اللازم أو هناك ما يوقفها عند حدها! أما المرأة التترية فعلى العكس من ذلك إنها تعرف القانون وتحترمه .

كلستش : إنها فى حاجة إلى علقة حامية .

البارون : يا لها من كلبة !

كلستش (**يجرب الأكورديون**) : لقد انتهيت من اصلاحه ولكن لا أثر له لعله وقع فى مشكلة جديدة .

ساتن : خذ كأسا .

كلستش : شكرًا ! وقد حان وقت النوم كذلك .

ساتن : هل بدأت تألفنا؟

كلستش (**يجرع الكأس ويذهب إلى فراشه فى الركن**): لا بأس ، فالناس متشابهون فى كل مكان ، فى بادئ الأمر لا تلاحظ ذلك ، ثم انظر إليهم جيدا فإذا بهم كبقية الناس لا يختلفون عنهم فى شيء .

(**يفرش التترى ثوبا على فراشه ويركع ثم يبدأ فى العبادة**

البارون (**يخاطب ساتن مشيرا إلى التتري**) : انظر .

ساتن : دعه وشأنه . إنه مخلوق طيب (**يضحك**) تعترينى اليوم نوبة من العلل ، الشيطان وحده يعلم سببها .

البارون : إنك دائما طيب حينما تسكر . . طيب وذكى .

ساتن : حينما أسكر أحب كل شيء . نعم يا سيدى . أهو يصلى ؟ حسنا للإنسان أن يؤمن أو يكفر ، فهذا شأنه وحده . ان الإنسان حر فيما يفعل . . وهو نفسه الذى يدفع الثمن . ثمن الإيمان وثمن الكفر ، ثمن الحب وثمن الذكاء ، وهذا هو سر حريته . الإنسان هذه هى الحقيقة . ما هو الإنسان؟ إنه ليس انت ولا أنا ولا هم . . لا ، إنه أنت ، وأنا ، وهم ، والعجوز ، ونابليون ، ومحمد . الكل فى واحد (**يخطط بيديه فى الهواء شكل إنسان**) أفاهم أنت؟ إنه شيء هائل! فيه كل البدايات وكل النهايات . كل شيء موجود فى الإنسان ، وكل شيء موجود من أجل الإنسان . لا موجود الا الإنسان ، وكل ما عداه فمن صنع يديه وعقله . الإنسان! ما أروعه! فى اسمه رنة ز هو عجيبة! الإنسان! يجب أن تحترم الإنسان لا أن نشفق عليه أو نحط من قدره . . أن نحترمه ، هذا هو واجبنا . فلنشرب نخب الإنسان يا بارون! (**ينهض**) ما أجمل أن يشعر الواحد منا بأنه إنسان . أنا سجين قديم وقاتل و غشاش . . هذا كله صحيح . وحينما أسير فى الشارع ينظر الناس

إلى نظرهم إلى شيء شاذ . . يسبقوننى ثم يلتفتون الى . . وكثيرا ما يقولون لي: (**يا مجرم! يا نصاب! اشتغل!**) اشتغل . . لماذا؟ لأحصل على مطالب جسمى وأشعر بالرضى؟ (**يضحك**) أنا دائما أحتقر من غايتهم الأولى فى الحياة الشعور بالرضى . . كل هذا لا قيمة له يا بارون . . لا قيمة له! فالإنسان أسمى من هذا! الإنسان أسمى من الرضى!

البارون (**هازا رأسه**) : إنك تستطيع أن تفكر تفكيرا منطقيا . وهو شيء جميل . . لا بد أنه يشرح صدرك . أما أنا فلا أستطيع أن أفعل ذلك . . لا أستطيع التفكير المنظم (**ينظر حوله ثم يتحدث بصوت خافت وبحذر**) هل تعلم يا صديقى العزيز أنى أشعر بالفزع أشعر بالذعر؟ لأنه ماذا سيكون مصيرى؟

ساتن (**يسير جيئة وذهابا**) : هراء ، ما الذى يخيف الإنسان؟

البارون : اسمع ، منذ أذكر نفسى وأنا أشعر بنوع من الضباب يغشى ويمنعنى من تفهم أى شيء . ولدى إحساس أخرق كأنى لم أفعل فى حياتى كلها سوى تغيير ملابسى . ولكن لماذا؟ هذا ما لا أود معرفته . لقد

تعلمت ، وارتديت ملابس كلية النبلاء - ولكن ماذا تعلمت؟ لا أذكر . ثم تزوجت . . امرأة غير هذى وارتديت ملابس العرس السوداء ثم (روبا) فضفاضا - لماذا؟ ثم أضعت ثروتى واضطررت إلى ارتداء سترة رمادية قديمة وسيئة وباهتة - ولكن كيف أفلست؟ لم ألاحظ هذا . ثم حصلت على وظيفة حكومية وارتديت زيا رسميا وقبعة عليها شارة خاصة ثم اختلست أموال الحكومة فوضوعوا على جسدى ملابس السجن وأخيرا لبست هذه . حدث كل ذلك كأنى فى حلم . أليس ذلك ؟

ساتن : إنه سخيف أكثر منه غريب .

البارون : نعم . . أنا كذلك أرى أنه سخيف لابد أن يكون هناك سبب من أجله - ألا تعتقد ذلك ؟

ساتن **(ضاحكا)** : من المحتمل ، فالإنسان يولد لينتظر حدود أفضل **(يهز رأسه)** .

البارون : أين ذهبت ناستيا هذه؟ من الخير أن أذهب وأبحث عنها؛ فهى على كل حال **(يخرج فترة من الصمت)**

الممثل : يا تترى **(فترة من الصمت)** يا حسن . **(يلتفت التترى إليه)** صل . . من أجلى .

التترى : ماذا؟

الممثل (فى صوت أكثر انخفاضا) : صل . من أجلى . .

التتري (بعد فترة صمت) : صل أنت .

الممثل (ينزل مسرعا من على الفرن ويسير إلى المائدة ويصب لنفسه كأسا من الفودكا بيد مرتعشة ويجرعها ثم يسرع إلى الردهة وهو يكاد يجرى) : إنى ذاهب .

ساتن : هاى . . أيها المغفل إلى أين أنت ذاهب؟ (يصفر)

(يدخل مدڤديف مرتديا سترة نسائية مضربة كاللحاف ومعه بوبنوف وقد ظهرت عليهما علامات سكر خفيف . يحمل بوبنوف ربطة من الكعك فى إحدى يديه وفى الأخرى كمية من السمك المدخن . وقد وضع تحت ذراعه زجاجة فودكا بينما ظهرت زجاجة أخرى من جيبه) .

مدڤديف : إن الجمل نوع من . . الحمير ولكن بدون أذنين .

بوبنوف : دعك من هذا . . فأنت نفسك من نوع الحمير .

مدڤديف : الجمل ليست له أذنان . . وهو يسمع بمنخريه .

بوبنوف (لساتن) : يا صديقى بحثت عنك فى جميع الحانات . خذ زجاجة فيداى ممتلئتان .

ساتن : ضع الكعك على المائدة وبذلك تخلو إحدى يديك .

بوبنوف : يا لها من فكرة! يا سلام! انظر أيها الشرطى - هاك رجلا ذكيا - أليس كذلك؟

مدفديف : المجرمون كلهم أذكياء . . أنا أعرف هذا . . إنهم لا يستطيعون العمل بدون عقول ذكية أما الرجل الطيب فقد يكون غبيا ومع ذلك يظل طيبا ، ولكن الرجل الشرير يجب أن يكون ذكيا - بالتأكيد أما عن الجمل فأنت مخطئ فهو دابة من دواب الحمل ولا قرون له . ولا أسنان

بوبنوف : أين الجميع ؟ لم لا يوجد هنا أى إنسان؟ هاى أنتم اظهروا! جميعا ضيوفي! من الذى هناك فى الركن؟

ساتن : متى سينفذ ما معك من نقود فى السكر يا فظيع؟!

بوبنوف : حالا . فقد ادخرت هذه المرة مبلغا صغيرا . لوز! أين لوز ؟

كلستش (سائرا إلى المائدة) : لقد خرج .

بوبنوف : بر . . ررا فيدو! برلين - برلين - برلين! أيها الديك الرومى لا تنبح لا تكاكي! اشربوا واستمتعوا اخرجوا من أحزانكم! إنى أدعوكم جميعا! أنا أحب دعوة الناس . . لو كنت غنيا لافتتحت حانة مجانا - هل تراهنون أنى كنت أفعل ذلك؟ وكنت أزودها

بفرقة موسيقية ومغنين وأسمح للجميع بدخولها ليشربوا ويستمعوا للأغانى - ويرفهوا عن أنفسهم ، وكنت اذا رأيت رجلا فقيرا دعوته إلى حانتى المجانية! وأنت يا ساتن كنت أجعلك كنت أعطيك نصف ثروتى كلها فى ذلك الوقت!

ساتن : أعطنى كل ما معك الآن .

بوبنوف : كل ثروتى الآن؟ خذها . هاك روبلا - وهذا ربع - وهذه بعض كوبكات - هذا كل ما معى!

ساتن : هذا جميل . فستكون أكثر أمانا معى . . سأقامر بها .

مدفديف : أنا شاهد . . لقد أعطاك النقود كأمانة . . حتى متى؟

بوبنوف : أنت؟ إنك بعير . لسنا فى حاجة إلى شهود

(يدخل أليوشكا حافى القدمين)

أليوشكا : لقد ابتلت قدماى يا أصدقاء .

بوبنوف : تعال! بلل صفارتك أيضا! فهذا سيصلح حالك يا صديقى العزيز . أنت تغنى وتعزف . . هذا بديع . . ، ولكن يجب ألا تشرب فالخمر مضرة بالإنسان يا عزيزى . حقا إنها مضرة .

أليوشكا : إن النظر إليك يؤيد قولك . فأنت لا تبدو إنسانا إلا عندما تكون سكران . هل أصلحت لى

(الأكورديون) يا كلستش؟

(يغنى وهو يرقص)

(لو لم تكن سحنتى تروق للناظرين لما كانت فتاتى ظريفة معى هكذا) .

إنى أرتعش يا أولاد . فالجو بارد جدا

مدفديف : هيه! هل لى أن أسأل من فتاتك هذه؟

بوبنوف : اتركه وشأنه ، فلم تعد الآن من الشرطة يا صديقى . لقد انتهى كل شيء ، ولم تعد لا شرطيا ولا عما .

أليوشكا : لقد أصبحت زوج الخالة كفاشنيا ليس إلا .

بوبنوف : نعم ، فإحدى بنات أخيك فى السجن والأخرى تموت .

مدفديف **(محتدا)** : كذاب! إنها لا تموت . . إنها مفقودة **(يضحك ساتن)**

بوبنوف : نفس الشىء يا أخ ، فالإنسان لا يكون عما دون بنات أخ .

أليوشكا : يا صاحب السعادة **(يغنى)**

فتاتى معها نقود وأنا ليس معى مليم

ولكنى فتى مرح . وهذا رأى الفتيات كذلك!

تبا لهذا البرد!!

(يدخل لوز ، وبين وقت وآخر حتى نهاية الفصل يدخل أشخاص آخرون ، رجال ونساء ، يخلعون ملابسهم استعدادا للنوم ثم يستلقون على فرشهم وهم يتمتمون لأنفسهم) .

لوز : بوبنوف! لماذا هربت؟

بوبنوف : تعال هنا ! اجلس . والآن لنغن أغنيتى المفضلة . . أنت تعرفها . . هيه؟

التترى : لقد جعل الليل للنوم . . غنوا بالنهار .

ساتن : لا عليك يا حسن! تعال هنا !

التترى : لا على ؟ كيف هذا؟ . إنكم ستحدثون ضجة حينما تغنون .

بوبنوف (ذاهبا إلى التترى) : كيف حال ذراعك يا حسن؟ هل بتروها لك؟

التترى : ولماذا يبترونها؟ إنى أنتظر فلعلهم لا يجدون ضرورة لذلك ، فذراع الإنسان ليست قطعة من الحديد حتى نتسرع فى بترها .

لوز : أنت فى حالة يرثى لها يا حسن ، فبدون ذراعك لن تصلح لشيء ، فأمثالنا كل قيمتهم فى أيديهم وظهورهم . وبدون يد لا يكون للرجل وجود .

حقا إن حالتك سيئة . تعال اشرب بعض الفودكا . . وإلى الجحيم بكل شىء!

(تدخل كفاشنيا)

كفاشنيا : آه ، أهلا بسكانى الأعزاء! أليس الجو رديئا فى الخارج؟ برد ورطوبة! هل شرطى هنا؟ يا شرطى!

مدفديف : هأنذا .

كفاشنيا : لبست سترتى مرة أخرى؟ ويبدو أنك مخمور بعض الشىء ، أليس كذلك؟ كيف حدث هذا؟

مدفديف : بمناسبة عيد ميلاده ، عيد ميلاد بوبنوف . . ثم إن الجو بارد ورطب كما ترين .

كفاشتيا : رطب! اسمع ! دعك من هذه الأعذار! اذهب إلى فراشك .

مدفديف **(وهو يذهب إلى المطبخ)** : إلى الفراش: هذا فى إمكانى وأنا أريد ذلك ، فقد حان وقت النوم .

ساتن : أنت صارمة معه . لماذا ؟

كفاشنيا : وهل فى إمكانى غير ذلك يا صديقي؟ إن رجلا مثله يجب أن يسير على الصراط المستقيم . لقد قبلته شريكا لحياتى معتقدة أنى سأستفيد من ذلك . . وعلى كل حال فهو رجل عسكرى أما أنتم

فمتوحشون ، وأنا لست إلا امرأة ضعيفة . . ومن الأولى يأخذ فى شرب الخمر! أى فائدة لى فى هذا؟

ساتن : إنك لم تحسنى اختيار مساعدك .

كفاشنيا : لا أنت مخطئ . . أنت مثلا ما كنت لترضى أن تعيش معى ما كنت لتقبلنى . وحتى إذا قبلت ، ففى خلال أسبوع واحد قد ضيعتنى فى القمار . . ضيعتنى وضيعت بضاعتى !

ساتن (ضاحكا) : أنت محقة فى هذا يا سيدة الدار . . فلا شك كنت سأفعل ذلك .

كفاشنيا : هأنت ذا قد اعترفت . . أليوشكا!

أليوشكا : ها هو ذا . . إنه أنا .

كفاشنيا : ما هذه الأقاصيص التى تذيعها عنى ؟

أليوشكا : أنا . ؟ إنى أقص كل شىء . . كما هو ، بمنتهى الأمانة أقول هناك امرأة . . امرأة بارزة . وهى من حيث الوزن والشحم والعظم ، وزن ثقيل جدا ، ولكنها لا تملك أوقية واحدة من العقل!

كفاشنيا : هذا كذب ، فعقلى كبير . ولكن لماذا تقول إنى أضرب شرطياً ؟

أليوشكا : لقد ظننتك تضربينه حينما كنت تشدين شعره .

كفاشنيا : **(ضاحكة)** : أنت مغفل! كأنك لم تر . لماذا تنشر الملابس القذرة خارج الدار؟ ثم إن هذا يجرح كبرياءه . ولقد أخذ يشرب الخمر بسبب أقاصيصك .

أليوشكا : إذن فحقا ما يقولونه . . من أن الفراخ تسكر كذلك

(يضحك ساتن وكلستش)

كفاشنيا : إن لسانك بذىء ! أنا لا أستطيع أن أفهم أى نوع من الرجال أنت يا أليوشكا .

أليوشكا : أفخر نوع! فى إمكانى فعل أى شىء . . إذا ما استرعى شىء انتباهى طرت وراءه .

بوبنوف : **(بالقرب من فراش التترى)** : هيا قم ، فسنحرمك من النوم على أى حال . فسنغنى . . طول الليل . . لوز!

لوز : تريد أغنية ؟ حسنا .

أليوشكا : سأعزف معكما .

ساتن : كلى آذان صاغية .

التترى : **(مبتسما)** : حسنا أيها الشيطان بوبنوف والآن أعطنى شيئا من شرابك . فلنشرب ، ولنمرح ، فالموت آت ، وسنموت .

بوبنوف : املأ كأسه يا ساتن . اجلس يا لوز . آه ، يا رفاق! ما أقل ما يحتاج إليه الإنسان! انظروا إلىّ . . شربت بعض الخمر وهأنذا أسعد ما أكون . . لوز غن أغنيتى المفضلة . . سأغنى وأبكى !

لوز : **(يغنى)** : الشمس تشرق ثم تغرب

بوبنوف : **(مكملا)** : وزنزانتى مظلمة لا تعرف الضوء -

(يفتح باب الردهة على مصراعيه . البارون يصيح وهو واقف على العتبة) .

البارون : هاى ، أنتم هنا! تعالوا . تعالوا هنا! هناك فى الخارج شنق الممثل نفسه!

(صمت شامل . . يحملق الجميع فى البارون مشدوهين تظهر ناستيا خلف البارون وتتقدم نحو المائدة فى بطء شديد وقد اتسعت حدقتا عينيها) .

ساتن : **(فى صوت خفيض)** : آه ، لقد أفسد الأغنية . . هذا المغفل

ستار

صدر من آفاق عالمية

١ - تنبؤات

شعر : بيفر / زجراجن

ترجمة : د . يسرى خميس

يوليو ٢٠٠١

٢ - اعتراف منتصف الليل

رواية : چورچ ديهامل

تعريب : د . شكرى عياد

أغسطس ٢٠٠١

٣ - الزيتونة والسنديانة

نصوص شعرية مترجمة ودراسة عن الشاعر :

عادل قرشولى

د . عبد الغفار مكاوى

سبتمبر ٢٠٠١

٤ - بلبل واحد لا يصنع ربيعا

مختارات من القصة العالمية

ترجمة د . حمادة إبراهيم

أكتوبر ٢٠٠١

٥ - شراك القدر

مسرحية : أنطونيو بوريو بييخو

ترجمة : د . طلعت شاهين

نوفمبر ٢٠٠١

٦ - الأرض الخراب وقصائد أخرى

شعر : ت . س . إليوت

ترجمة : د . لويس عوض

تقديم : د . ماهر شفيق فريد

ديسمبر ٢٠٠١

٧ - فى البحث عن ڤاليرى (رواية)

تأليف : ليج مايكلز

ترجمة : مى رفعت سلطان

يناير ٢٠٠٢

٨ - زديج أو القضاء (قصة شرقية)

تأليف : ڤولتير

ترجمة : د . طه حسين

تقديم : نبيل فرج

فبراير ٢٠٠٢

٩ - قصائد امرأة سوداء بدينة

شعر : جريس نيكولز

ترجمة : نانسى سمير

مارس ٢٠٠٢

١٠ - عاشق من مونت كارلو (مختارات قصصية)

تعريب وتقديم : عبد القادر حميدة

إبريل ٢٠٠٢

١١ - الحب والأسى (مسرحية صينية)

تأليف : (**باى فنجكس**) .

ترجمة وتقديم : سمير عبد ربه

مايو ٢٠٠٢

١٢ - ذلك العالم المدهش

(حوارات مع كتاب عالميين)

ترجمة وتقديم : حسين عيد

يونيو ٢٠٠٢

١٣ - شعر السبعينيات فى إسبانيا (دراسة ومختارات مترجمة)

د . حامد أبو أحمد

يوليو ٢٠٠٢

١٤ - المسرح الهندى (التراث والتواصل والتغير)

تأليف : د . نيميتشاندا جين

ترجمة : د . مصطفى يوسف منصور

مراجعة : أ . د . منى أبو سنة

أغسطس ٢٠٠٢

١٥ - مختارات من روائع المسرح العالمى

ترجمة وتقديم د . نعيم عطية

سبتمبر ٢٠٠٢

١٦ - الأغنية الأخيرة

مختارات من الشعر الصينى

تأليف : تشانج شيانج - هو

ترجمة : زكريا محمد

أكتوبر ٢٠٠٢

١٧ - أفضل صديقاتى (مختارات من القصة العالمية)

ترجمة : مفــرح كريم

نوفمبر ٢٠٠٢

١٨ - الطاغية (ومسرحيات أخرى)

ترجمة د . جمال عبد الناصر

ديسمبر ٢٠٠٢

١٩ - يقظة امرأة (رواية)

تأليف : كيت شوبان

ترجمة : د . أحمد الشيمى

يناير ٢٠٠٣

٢٠ - مختارات من حكايات الشعوب

ترجمة وتقديم : رأفت الدويرى

فبراير ٢٠٠٣

٢١ - خمس مسرحيات نو حديثة

تأليف : يوكيو ميشيما

ترجمة : عبد الغنى داود

: أحمد عبد الفتاح

مارس ٢٠٠٣

٢٢ - سر بين اثنين

(مختارات من القصة القصيرة العالمية)

ترجمة : محمد رجب

أبريل ٢٠٠٣

٢٣ - ملحمة جلجاميش

ترجمها عن الألمانية : د . عبد الغفار مكاوى

راجعها على الأكدية : د . عونى عبد الرءوف

مايو ٢٠٠٣

٢٤ - شعراء وقصائد

باقة من بستان الشعر اليونانى الحديث

ترجمة عن اليونانية ودراسات : د . نعيم عطية

يونية ٢٠٠٣

٢٥ - فى الحب والحرية والمقاومة

مختارات من الشعر العالمى

ترجمة وتقديم : د . حسن فتح الباب

يوليو ٢٠٠٣

٢٦ - الحجر ليس بريشة

مختارات من شعر بيثنته ألكساندر

ترجمة وتقديم : عبد الهادى سعدون

أغسطس ٢٠٠٣

٢٧ - تدابير ضد السلطة

مختارات من القصة الألمانية فى القرن العشرين

ترجمة وتقديم : د . محسن الدمرداش

سبتمبر ٢٠٠٣

٢٨ - تحولات الجحش الذهبى

تأليف : لوكيوس أبوليوس المداورى

ترجمة : د . على فهمى خشيم

أكتوبر ٢٠٠٣

٢٩ - مسرحية « حسن البغدادى »

تأليف : چيمس الروى فليكر

ترجمة وتقديم : محمود محمد مكى

نوفمبر ٢٠٠٣

٣٠ - صورة للبقاء

شعر وترجمة : روديكا فيرانيسكو

ديسمبر ٢٠٠٣

٣١ - ممنوع اللمس

وقصص أخرى من إسبانيا وأمريكا اللاتينية

ترجمة : أحمد عبد اللطيف

يناير ٢٠٠٤

٣٢ - دميان

تأليف : هرمان هيسه

ترجمة : عبده الريس

فبراير ٢٠٠٤

٣٣ - شَجُوجٌ بفأسٍ

ترجمة : فاطمة ناعوت

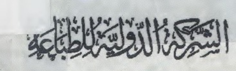
تقديم : حلمى سالم

مارس ٢٠٠٤

آفاق
عالمية

تمتاز معظم مسرحيات « جوركى » بجو غريب جديد خاص بها ، غريب بالنسبة للمسرح التقليدى وقواعده المتوارثة ، وإن كان أقرب مايكون إلى جو الحياة الحقيقية ، كما تمتاز بشخصياتها الحية التى تخصص « جوركى » فى التقاطها من دروب الحياة وإعطائها على المسرح كل مقومات حياتها النفسية والإجتماعية .

عندما انتهى من كتابة مسرحيته الأولى ساءه أن تحولت إلى شىء كثير الضجيج والجلبة وكتب إلى « تشيخوف » يعده بكتابة عشر مسرحيات أخرى حتى يحصل على ما يريد « . . . وما أريده هو أن تكون المسرحية متناسقة وجميلة مث
وقد نجح « جوركى » فى تحقيق ذلك فى م
« الحضيض » التى تنبع موسيقاها من تفاعل
شخصيات أصحابها .



الثمن : جنيهان